الدكتور أحمد سوسه

مدخل الى كتاب

العرب واليهود في التاريخ

حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية

« اننا الان فى وضع اكثر ملائمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الاساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينيــة التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة » .

الاستاذ هوك مؤلف
كتاب « اصول الديانات
السامية القديمة »

المرحوم الأستاذ/ إبراهيم عبد الله إبراهيم
جمهورية مصر العربية

إهـــــــداء٢٠٠٨

المرحوم الأستاذ/ إبراهيم عبد الله إبراهيم
جمهورية مصر العربية

الدكتور أحمد سوسه

مدخل الى كتاب



حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية

« اننا الان فى وضع اكثر ملائمة من اي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الاساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة » .

الاستاذ هوك مؤلف
كتاب « اصول الديانات
السامية القديمة »

بسم الله الرحمن الرحيم

العرب واليهود
في التاريخ
حقائق تاريخية تظهرها
المكتشفات الاثارية

هذا هو عنوان كتاب واسع اتممت تاليفه وعنوانه دليل موضوعه ، ولتعذر طبعه في وقت قريب لما احتوى عليه من صور ومرتسمات وحواش ولعوائق اخرى ، فقد رايت ان انشر في هذا الكتيب مقدمة الكتاب ذاتها وهي تحتوي على موجز لاهم النقاط الواردة فيه ، لذلك فهي خالية من المراجع والشروح والحواشي التي في اصل الكتاب ، وقد سميت هذه المقدمة ((مدخل الى كتاب العرب واليهود في التاريخ)) ، مع العلم ان هذا الموجز كان محور محاضرتين القيت احداهما في جمعية الكتاب والمؤلفين العراقية والثانية في جامعة الموصل خلال سنة ١٩٧٠ .

ولا بد لي ان اشير في هذا الصدد الى سعة هـذا الموضوع وتشعباته عدا ما يتخلله من امور معقدة وحساسة اختلفت فيها الاراء وتضاربت فيها النزعات والميول . ومع ذلك فيتوجب على كل عربي ان يتعرف على حقيقة القضية الفلسطينية ويشارك في اظهار هذه الحقيقة ، وفي طبيعة الحال ان القسط الاكبر في انجاز هذه المهمة الوطنية يقع على عاتق الكتاب والادباء.

والبحث الذي اقدمه هو ثمرة تحقيق واجتهاد عمر كامل قضيت الشطر الاكبر منه في ملاحقة الحقيقة اينما وكيفما كانت . وانني اذ اقـدم هذا البحث اترك للقارىء او الباحث أن ياخذ بما يقتنع به من الاراء التي توصلت اليها أو يرفض ما لا يريد منها ، انما المهم هو ان نتجرد من العواطف وان نبحث هذا الموضوع الخطير بالطريقة العلمية ونركن الى المنطـق والى العقل السليم في الاجتهاد والعمل للتوصل الى الحقيقة التي ننشدها جميعا. ومن القول الشريف : ((للمجتهد ان اصاب اجران وان اخطا اجر)) .

هذا واملي بان تتاح لي الظروف المواتية لطبع الكتاب بكامله باقرب وقت ممكن ومن الله العون والتوفيق .

بغداد ــ ايسار ١٩٧١ — الدكتور احمد سوسه

العنـــاوين

تمهيـــــد

حملتني على وضع كتابي هذا « العرب واليهود[1] في التاريخ» عدة حوافز ، من أهمها الاعزاز العميق لتراث العروبة والاسلام وحضارتهما والاحساس بان الامة العربية هي باشد الحاجة في هذا الظرف بالذات لاظهار حقيقة تاريخ اليهود القديم وصلتهم بفلسطين وتعريف القارىء باصالة عروبة فلسطين منذ خمسة آلاف عام . ومع علمي بما ينطوي عليه هذا الموضوع من تفرعات شائكة وحساسة فقد اقدمت عليه مستمدا من المبادىء الاسلامية الحقة التي تستند الى المنطق والعقل السليم الجرأة العلمية للوصول الى الحقيقة في مجال التفكير الانساني القويم . ومما اعانني على التوغل في هذا الموضوع بمزيد من الثقة دراساتي الطويلة المتواصلة مدة اكثر من اربعين سنة لاصل الحضارات السامية في الشرق الادنى وعلاقتها بالري والزراعة ، وقد كان كتابي الاخير « الري والحضارة في وادي الرافدين» ثمرة هذه الخبرة الطويلة. والمعلوم ان حضارة وادي الرافدين القديمة مرتبطة ارتباطا كليا بحضارة الشرق الادنى من ضمنه فلسطين كوحدة جغرافية واحدة لا تقبل الانفصال .

لقد كتب كثيرون وبحث عديدون في تاريخ اليهود وفلسطين حتى اصبحت لدينا آلاف مؤلفة من الكتب والمعاجم والقواميس ، وكلها تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة بحيث لا يخرج القارىء الغريب عن الموضوع الا وقد انطبع في ذهنه بان اليهود هم بناة الحضارة ، وهم دعاة عقيدة التوحيد ، وهم مؤسسو الثقافة العالمية الخ ... والكتّاب

---

(١) نقول هنا « اليهود » ولا نقول « بني اسرائيل » لان هذا البحث قائم اساسا على التمييز بين عصر موسى واليهود من جهة وبين عصر ابراهيم ويعقوب (اسرائيل) من الجهة الاخرى ، لانهما على ما نفهمه من التاريخ المبني على الاكتشافات الحديثة عصران منفصلان لا يرتبط الواحد بالاخر باية صلة ، فبينهما فاصل يمتد عبر الزمن اكثر من سبعمائة عام كما سنوضح فيما يلي .

الذين اندفعوا في هذا الاتجاه فريقان : الاول رجال الدين المتعصبون للتوراة ، من يهود ومسيحيين ، وهم الاكثرية ، وفريق آخر من العلماء والكتّاب الذين انخرطوا في سلكهم لتقصي الحقائق التاريخية ، فأصبح أكثرهم من غير ان يشعروا دعاة لليهود قبل ان يكونوا رواد علم وحقائق.

ومن الثابت ان سكان فلسطين الاصليين القدماء ، وقد كانوا كلهم عربا ، هاجروا من جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بها ، فعاشوا في وطنهم الجديد « كنعان » أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الاحداث ، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في ارض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم . هذه حقيقة تاريخية ثابتة ، أيدتها المكتشفات الاثارية الاخيرة ، وأخذ بها العلماء بالاجماع تقريبا . الا ان اكثر الكتّاب العرب الذين كتبوا فى تاريخ حضارة العرب ، لم يتناولوا هذا الدور في بحوثهم الا عرضا ، ولعل مرد ذلك الى اصطباغ مصادره بصبغة اختصاصية تنحصر بالبحوث الآثارية . لذلك انحصرت بحوثهم في عصور الجاهلية على الاكثر ، وان أقدم ما تناولوه كان عهود قبائل العرب البائدة ، فتركوا بذلك فراغا فى تاريخ فترة ما قبل عهد النبي موسى في الادب العربي ، وهي الفترة التي عدها اليهود بداية تاريخهم من غير أي سند علمي او واقع تاريخي ، وقد جاراهم في ذلك حتى الكتّاب العرب معتمدين على الكتابات اليهودية والاجنبية التي قبلوها على علاتها من غير تمحيص . ولقد صدق زميلي في الدراسة المجاهد الاستاذ أكرم زعيتر حين قال : ان اسرائيل قد استعانت على اغتصاب بلادنا بتزييف الحقائق أكثر مما عنينا بايضاحها» .

وان اهم ما أريد في بحثي هذا هو تعريف القارىء العربي بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الاحداث ومن ضمن ذلك دور الحضارة العربية فى تكوين المجتمع الفلسطيني القديم ، وتصحيح الخطأ الشائع الذي وقع فيه أكثر الكتّاب والمؤرخين من العرب من ارجاع تاريخ اليهود الى عهود قديمة لم يكن لهم اي وجود

فيها ، وقد تقيّدت فيما كتبت بالاسلوب العلمي تقيدا تاما بتثبيت المظان أينما استوجب ذلك ، الا الاستنتاجات والالآراء الشخصية التي أبديتها استنادا الى هذه المظان •

لقد أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود الى زمن الاكديين في العراق، في حين أن الاكديين كانوا قد ظهروا قبل عصر موسى باكثر من خمسمائة وألفي سنة ، ذلك لان الاكديين نزحوا من جزيرة العرب الى شواطىء الفرات في حوالي سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، أما اليهود أتباع موسى فانما ظهروا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد • وربط باحثون آخرون بداية تاريخ اليهود بزمن ابراهيم الخليل (ع) ، في حين أنهم لم يظهروا الا بعد ابراهيم الخليل بسبعمائة عام . وربط فريق ثالث تاريخ اليهود بزمن الهجرات العربية الى الهلال الخصيب ، وهذه الهجرات انما حدثت قبل وجودهم بنحو ألفي عام • وقد وقع هؤلاء جميعا في هذه الاخطاء من اهمالهم ملاحظة التسلسل الزمني ، الذي تعمد كتبة التوراة اهماله ، ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم ، فادخلوا التشويش على ذهن القارىء بحيث أصبح تائها بين العصور ، فهل هو في عصر ابراهيم ام في عصر موسى ويشوع أم في عصر اليهود ؟ ومن أهم مقاصد هذا البحث هو شرح الفارق الذي يميز بين عصر ابراهيم الخليل العربي وبين عصر موسى باعتدادهما عصرين منفصلين لا صلة للواحد بالآخر • وكذلك التمييز بين عصر موسى من جهة وعصر اليهود من الجهة الاخرى ، وبذلك التمييز بين التوراة التي نزلت على النبي موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين التوراة التي كتبها اليهود في الاسر بعد ثمانيمائة عام من عهد موسى وبعد الف وخمسمائة عام من عهد ابراهيم الخليل ونسبوها الى موسى وابراهيم الخليل زورا •

لقد كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية الاخيرة المصدرالاساس الذي يرجع اليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه باعتدادها أقدم كتابة في تاريخ البشرية ، فضلا عن قدسيتها ، مما

وضعها خارج نطاق التحليل التاريخي العلمي • أما الآن فقد كشفت لنا الكتابات التي تركها الاقدمون قبل عهد التوراة ــ وهم السومريون والاكديون والكنعانيون (الفينيقيون) والحيثيون والبابليون والآشوريون والمصريون ــ عن كثير من الامور الغامضة • وتمتاز هذه الكتابات في كونها معاصرة للعصر الذي تعود اليه ، بخلاف التوراة التي تنقل أحداثا ترجع الى عهود بعيدة وأزمنة سبقتها بعشرات من القرون• ويعد العلماء هذه الكتابات،التي عثر على جزء قليل منها، اعظم انجازات الانسان في هذا العصر • وهذه المراجع تزودنا بالبراهين والبينات التي كانت تعوز من سبقنا من الباحثين لتقرير بعض الحقائق عن العصور التاريخية القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن الى استنتاجات معقولة ومقبولة للعقل السليم •

ومن أهم ما اوضحت لنا هذه الاكتشافات ، المكاسب العلمية الآتية :

١ ــ تشخيص أكثر مواقع المدن والاماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وفى كتابات التوراة •

٢ ــ تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة بحسب تسلسلها الزمني ، وتوضيح علاقة الاقوام بعضها ببعض ، وتعيين أدوارها وخاصة هجرة الاقوام بوجه عام وتطور ثقافاتها ولغاتها •

٣ ــ تتبع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب الى فلسطين والى بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى •

٤ ــ تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها فى التوراة بالقياس الى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور حسب تسلسلها الزمني •

٥ ــ توصل الخبراء الى ان الكثير مما ورد في التوراة من قصص واساطير وشرائع يرجع الى اصل قديم ، وجد مثيله او ما يشابهه في المدونات السومرية والاكدية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم •

٦ ـ توصل الخبراء الى ان مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الاخرى، وان اكثر التراتيل والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة من الكنعانيين وقد عثر عليها في « اوغاريث » (فينيقيا) .

٧ ـ توصل الخبراء الى ان شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم ادخلوها في كتبهم المقدسة .

٨ ـ ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وان كل مايملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الحضارة الكنعانية والارامية وهي من أصل عربي .

٩ ـ ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الاصليين طيلة مدة مكوثهم فيها .

١٠ ـ ثبوت عجز اليهود في اي دور من ادوار التاريخ عن انشاء دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين .

ويسود الشعور الآن بين الكتاب المحدثين ان الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ، ومن ضمنها الديانة اليهودية ، بالثقافات السامية القديمة ، فيقول الاستاذ « هوك » في مقدمة كتابه « اصول الديانات السامية القديمة » : « اننا الآن في وضع أكثر ملائمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الاساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة » .

ونحن نقول : لقد آن الاوان للباحثين ان يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم ، وعليهم ان يتوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون ، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ بحسب تسلسلها الزمني .

العبرانيون ـ الاسرائيليون ـ الموسويون ـ اليهود

وقبل الدخول في هذا البحث لابد من توضيح نقطة مهمة تتعلق باربع تسميات سوف تعترضنا فى مجرى الحديث وقد جرت العادة على عدّها تسميات لمسمى واحد أو مدلول واحد يمثل جميع الادوار دون تمييز ، في حين أن كلا منها تم تداوله في عصر خاص به وله مدلوله الخاص ايضا يختلف عما هو مقصود به في التسميات الاخرى ، ونعني بهذه التسميات : العبرانيين او العبريين ، ثم الاسرائيليين ، فالموسويين (قوم موسى) ، فاليهود .

١ ـ اما مصطلح « العبري » او « العبراني » فكان يطلق فى نحو الالف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب في بادية الشام وعلى غيرهم من الاقوام العربية فى المنطقة حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء او ابن البادية بوجه عام ،وبهذا المعنى وردت كلمة « الابري » و « الهبيري » و « الخبيرو » و « العبيرو » فى المصادر المسمارية والفرعونية ، ولم يكن للاسرائيليين والموسويين واليهود اي وجود بعد . لذلك فان نعت ابراهيم الخليل بـ « العبراني » كما ورد في التوراة انما اريد به معنى العبريين « العبيرو » وهم القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الارامية العربية التي ينتمي اليها ابراهيم الخليل نفسه ، وبهذا المعنى وردت كلمة « عبري » و « عبيرو » و « خبيرو » في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرا ، وهي تعود الى ما قبل وجود الاسرائيليين والموسويين واليهود بعدة قرون . لذلك يجب التمييز بين العبري من جهة وبين الاسرائيلي او الموسوي أو اليهودي من جهة اخرى فى بحث تاريخ فلسطين القديم. ودليلنا على ذلك ان مصطلح « عبري » و « عبراني » لم يرد في القرآن الكريم مطلقا وانما ورد فيه ذكر « الاسرائيليين » و « قوم موسى » و « يهود » (الذين هادوا) . ويتضح من ذلك ان عصر ابراهيم الخليل

هذا عصر عربي قائم بذاته ليست له أية صلة بعصر موسى وقوم موسى الذي يقع بعد زمن ابراهيم الخليل بسبعمائة عام .

٢ ــ واما مصطلح اسرائيل فالمقصود به يعقوب حفيد ابراهيم الخليل وأبناؤه وهم بنو اسرائيل الذين ورد ذكرهم في الاسفار ودورهم محصور في منطقة « حاران » (حران حاليا) حيث وطنهم الاصلي الذي ولدوا ونشأوا فيه . أما فلسطين فهي أرض غربتهم وقد وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهو نفس عهد ابراهيم الخليل . وكانت اللغة في هذه المنطقة في ذلك الزمن لغة واحدة (اللغة الام) التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية قبل هجرتهم الى الهلال الخصيب ، أي قبل أن تتفرق هذه اللغة الى اللهجات المختلفة كالكنعانية والارامية والعمورية وغيرها . وهكذا كانت لغة العشائر الارامية التي كان ينتمي اليها ابراهيم الخليل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون والعموريون وهي قريبة جدا من اللغة الام . وأما حفيده يعقوب (اسرائيل) فالارجح أنه كان يتكلم بنفس اللغة وهو أرامي مثل ابراهيم بحكم النسب . كما انه من الارجح أن ابناء يعقوب (بني اسرائيل) في زمن يعقوب كانوا يتكلمون نفس اللغة ، وهذا يمكن تسميته بالدور الاول الذي عاش فيه ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب . وهؤلاء كلهم كانوا يدينون بدين ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب . وقد اظهرت الاكتشافات الاخيرة ان كلمة « اسرائيل » كانت اسما لموضع في فلسطين وهي تسمية كنعانية ، وبهذا المعنى وردت في الكتابات المصرية التي ترجع الى ما قبل عصر موسى ، كما ان اسماء أبرام (ابراهيم) ويعقوب ويوسف وردت في الكتابات المصرية وهي تعود الى ما قبل عصر موسى مما يدل على أنها كنعانية ايضاً .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان فلسطين كانت ارض غربة بالنسبة الى ابراهيم وولده اسحاق وحفيده يعقوب (اسرائيل) ، وذلك بتأكيد التوراة ذاتها ، لانهم كانوا مغتربين بين الكنعانيين سكان فلسطين

الاصليين وبخاصة بني اسرائيل الذين ولدوا كلهم فى « حـــاران » ونشأوا فيها ٠

وقد انتهى هذا الدور الذي ظهرت فيه تسمية « اسرائيل » بعـد أن هاجرت اسرة يعقوب الى مصر وانضمت الى يوسف على قول التوراة، فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كليا ٠

٣ ـــ ثم جاء الدور الذي يبدأ بتداول تسمية موسوي أو « قوم موسى » ، ويبدأ هذا الدور بعد الدور الذي تداولت فيه تسمية اسرائيل بزهاء ستمائة عام ٠ والموسويون كما تدل الاحداث مصريون على ارجح الاحتمالات ، كانوا يدينون هم والنبي موسى بدين التوحيد الذي ورثوه عن اخناتون فرعون مصر ، وهو الدين الذي يدعو الى عبادة الالـــــه الواحد اله جميع المخلوقات عن طريق نشر الاخاء العالمي بين الانســـان والانسان ، وهو غير دين اليهود الذي يدعو الى عبادة الاله يهوه الخاص بهم بصفتهم الشعب المختار وقد نسبه كتبة التوراة الى موسى زورا ٠ وكان موسى واتباعه قد اضطروا تحت ضغط الوثنيين واضطهـــــادهم لهم بعد موت اخناتون الى الهرب من مصر والتوجه الى ارض كنعان (فلسطين) لايجاد مأوى لهم فيها ، وكان ذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ٠ وهؤلاء هم قوم موسى كما ورد اسمهم في القرآن الكريم، وهم بطبيعة الحال كانوا يتكلمون باللغة المصرية وبها نقل موسى الشـــريعة والوصايا العشر وكتبت بالهيروغليفية التي تعلمها موسى في بلاط فرعون٠ والرأي الغالب لدى الباحثين أن موسى كان قائدا مصـــــريا في بلاط اخناتون واشترك فى الحرب مع الحبشة واسمه اسم مصري بحت وقد تربى في البلاط الفرعوني وتزوج من امرأة اثيوبية في الحبشة على قول التوراة ويوسفوس ٠وشريعة موسى هذه لم يعثر على أي أثر لها٠ ثم اخذ هؤلاء الموسويون بلغة كنعان وثقافتها وتقاليدها ومارسوا حتى دياناتها الوثنية فى اكثر فترات وجودهم بين الكنعانيين سكان فلسطين الاصليين، وانحرفوا عن ديانة موسى وشريعته .

٤ ــ اما تسمية « يهود » فهي التسمية التي اطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد، وقد سموا كذلك نسبة الى مملكة يهوذا المنقرضة • وقد اقتبس هؤلاء قبيل السبي لهجتهم العبرية المقتبسة من الارامية وبها دونوا التوراة التي بين ايدينا في الاسر في بابل،أي بعد زمن موسى بثمانيمائة عام • لذلك صارت تعرف هذه اللهجة بارامية التوراة وقد استعملوا الحرف المسمى بالمربع وهو مقتبس من الخط الارامي القديم • وهذه بلا شك غير الشريعة التي نزلت على موسى ، ويمكن ان نطلق عليها اسم « توراة اليهود » لتمييزها عن « توراة موسى » • وكان هؤلاء اليهود عندما دونوا التوراة استهدفوا تحقيق غرضين رئيسين ، اولهما تمجيد تاريخهم وجعل أنفسهم صفوة الاقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب • ولتحقيق ذلك كان لابد من ارجاع اصلهم الى أقدس شخصية في عصرهم ، أي شخصية ابراهيم الخليل الذي كان صيته قد عم جميع ارجاء عالمهم في تلك الازمان • وقد حالفهم النجاح فى سرد تاريخهم حسب اهوائهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الادب القديم ، واضفوا عليه صبغة قدسية دينية ليضمنوا تقبله من اتباعهم• وهكذا فقد أرجعوا تاريخهم الى ابراهيم الخليل والى حفيده يعقوب (اسرائيل) ، فسمّوا جماعة موسى ببني اسرائيل على رغم كونهم ظهروا بعد اسرائيل بزهاء ستمائة عام ، وذلك بغية ربط أصلهم بابراهيم الخليل، وابتدعوا فكرة الشعب المختار التي كان ابراهيم الخليل ويعقوب وموسى بريئين منها • ثم جعلوا بني اسرائيل الموضوع الرئيس الذي تدور حوله جميع الحوادث الواردة فى التوراة ، فعدّتهم التوراة موجودين في كل زمان وفي كل مكان حتى في الادوار التي سبقت ظهور يعقوب الى عالم الوجود • فقد اعتبرت وجود بني اسرائيل في عصر ابراهيم الخليل فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (اسرائيل) !! كما أنها عدّت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالي ستمائة عام ، أي في عهد موسى عندما غزت جماعته ارض كنعان (فلسطين) من مصر في

القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الادوار والاحداث التالية ومن ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك ، وحتى يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق وهم من اصل تركي وكذلك يهود اوروبا واميركا ويهود العالم جميعـا هم على رأي التوراة نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة ، فما اغرب هذا المنطق واسخفه !!.

اما الهدف الثاني فهو جعل فلسطين وطنهم الاصلي على الرغم من تأكيد التوراة ذاتها أن فلسطين ارض غربة بالنسبة الى ابراهيم واسحاق ويعقوب وبخاصة ابناء يعقوب (اسرائيل)الذين ولدوا في حران ونشأوا فيها ، هذا اذا فرضنا ان قوم موسى هم بنو اسرائيل كما سـمّتهم التوراة ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وهكذا فقد ابتدع مدوّنو التوراة فكرة منح الرب ارض كنعان الى ابراهيم وذريته وان الرب(الهم يهوه الخاص بهم) قد امرهم بابادة الكنعانيين هم واطفالهم وشيوخهم ونساؤهم ليحلوا محلهم . هذا هو الدين الذي جاء به كتبـة التوراة ونسبوه الى ابراهيم والى يعقوب والى موسى زورا ، وهؤلاء همالیهود الذين سماهم القرآن الكريم كفارا لكذبهم على موسى وتحريفهملتوراته فيقول فيهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا .. وباءوا بغضب من الله .. ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (الآية ١١١ من سورة آل عمران) .

الكتاب في سـطور

وأضع الآن بين يدي القاريء موجزا لاهم مقاصد الكتاب وقـد اطلقتعليه عنوان « الكتاب في سطور » تمكينا له من اسـتيعاب محتوياته دون أن يرجع الى التفاصيل :

أهم مقاصـد الـكتاب

١ ــ يتناول هذا الكتاب بوجه خـاص بحث تاريخ الفترة التي

عاشتها فلسطين العربية قبل عهد النبي موسى ــ وهي الفترة التي ظهر فيها ابراهيم الخليل (ع) وعمتها الحضارة الكنعانية آكثر من ألفي سنة. هذا مع توضيح حقيقة علاقة اليهود بفلسطين وحضارتها بعد ظهورهم على مسرح الاحداث في زمن النبي موسى وما بعده •

٢ ــ ويقوم هذا البحث على أساس تقسيم الاحداث التاريخية الى ثلاثة ادوار منفصلة الواحد عن الآخر وهي :

اولا ــ عصر ابراهيم الخليل ويرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وهو عصر عربي بحت قائم بذاته بلغته وقوميته ودياناته ، ولا صلة له بعصر موسى الذي يأتي في وقت لاحق بعد عصر ابراهيم الخليل بسبعمائة عام ، كما انه لا صلة له بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر ابراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام •

ثانيا ــ عصر موسى ويبدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو عصر متصل بمصر ، قائم بذاته أيضا بلغته وثقافته ودياناته ، ويشتمل على الفترة التي عاشها النبي موسى على ارض كنعان مع أتباعه ثم الفترة التي استغرقتها عملية تحول الموسويين من المصرية الى الكنعانية بعد زمن موسى وانحرافهم عن دين موسى ، وهي الفترة التي يمكن أن نطلق عليها تسمية الفترة المصرية الكنعانية • وهذه دامت حوالي ثمانيمائة عام بدأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وانتهت بالسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد • وهنا لا بد من التوضيح أن عصري الملوك والانقسام كانا خاضعين لسيادة الثقافة الكنعانية بدليل ان الديانة الوثنية الكنعانية بقيت هي السائدة في البلاد ، وليس لدينا أي دليل على أنه كانت في البلاد في هذين العصرين غير لغة الكنعانيين القديمة في فلسطين ، لان العبرية تكوّنت في وقت لاحق عندما بدأ الكهنة يدونون التوراة باللهجة المعروفة بارامية التوراة وهي مقتبسة من الارامية ، وذلك بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد ، مع العلم ان الموسويين صاروا يتكلمون بالكنعانية التي اقتبسوها من الكنعانيين بعد نزوحهم الى كنعان، ثم اخذوا يتكلمون

بالارامية أسوة ببقية الاقوام في فلسطين وغير فلسطين بعد انتشار اللغة الارامية فى جميع الشرق الادنى ، ومعنى ذلك أنه لا توجد اية لغة خاصة باليهود وان ما يسمى بالعبرية بمعنى اليهودية هو لهجة متأخرة مقتبسة من الارامية (العربية الاصل) شأنها شأن اللهجات الاخرى التي تكونت في وقت لاحق من اللغة الام الاصلية .

ثالثا ــ عصر اليهود ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في اعقاب السبي البابلي ، وهو عصر يهودي بحت قائم بذاته أيضا بلغته وثقافته ودياناته ويمثل بداية اليهودية ، اذ تبدأ الديانة اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة فى الاسر في بابل وما بعد الاسر في اللغة التي صارت تعرف بالعبرية (ارامية التوراة) . وهذه هي التوراة التي بين ايدينا اليوم وهي غير التوراة التي نزلت على موسى باللغة المصرية قبل ثمانيمائة عام من عصر اليهود هذا .

ويحسن بالقارىء ان يلاحظ تسلسل هذه الادوار الثلاثة حسب ازمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بينة من الزمن الذي ينتمي اليه كل حادث من الاحداث التاريخية لان كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين الادوار التاريخية واهمال التسلسل الزمني فربطوا العصور بعضها ببعض وذلك لكي يرجعوا تاريخهم الى عصور لم يكن لهم أي وجود فيها فيلتبس الامر على القارىء ، وهذه الادوار هي كما تقدم :

اولا ــ عصر ابراهيم الخليل ويرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

ثانيا ــ عصر موسى ويرجع الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .
ثالثا ــ عصر اليهود ويرجع الى القرن السادس قبل الميلاد .

الهجرات العربية الى الهلال الخصيب

٣ ــ ان سكان فلسطين الاصليين هم الكنعانيون الفينيقيون والعموريون العمالقة ، وهم من القبائل العربية التي هاجرت من وطنها فى

شبه جزيرة العرب بسبب الجفاف الذي حل بها . فعاشت هذه القبائل بزعامة ملوكها ورؤسائها في وطنها الجديد مدة تزيد على ألفي سنة قبل ظهور جماعة موسى ، وهكذا يعد ارتباطها بالجزيرة العربية جزءا من كيانها الفلسطيني سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا واقتصاديا .

٤ ـ اعقب هجرة الكنعانيين والعموريين هجرة جماعات اخرى من القبائل العربية من شبه جزيرة العرب ايضا الى « حاران » (منطقة حران الحالية) الواقعة في منابع رافدي الفرات « الخابور » و «البليخ» في شمال سورية ، وهؤلاء صاروا يعرفون بالاراميين ، وقد عاشوا في وطنهم الجديد هذا مدة تربو على ألف عام قبل ظهور النبي موسى ، وكانوا كالكنعانيين والعموريين والعمالقة مرتبطين بالجزيرة العربية ارتباطا وثيقا .

٥ ـ ولغة هذه القبائل كلها كانت في الاصل لغة واحدة ، هي اللغة السامية العربية الام ، ثم تفرعت منها اللهجات السامية العربية من غير ان تفقد أصولها ، منها الكنعانية والفينيقية والموآبية والعبرانية التي سارت تعرف عند اللغويين بالمجموعة السامية الغربية ، ومنها العمورية والارامية التي صارت تعرف بالمجموعة الغربية الشمالية ، تمييزا لها عن مجموعتي اللغات السامية الشرقية التي تمثلها الاكدية وفرعاها البابلي والاشوري فى العراق واللهجات العربية الجنوبية في جنوب الجزيرة ، ومنها المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية .

٦ ـ ويرجح بل يؤكد عدد من الخبراء ان اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية الان هي أقرب جميع اللهجات الى اللغة العربية الاصلية التي كان يتكلم بها ابناء الجزيرة قبل ان تنفصل لهجاتهم فى مستوطناتهم الجديدة ، وذلك على اساس ان هؤلاء بقوا منعزلين في صحرائهم دون ان يختلطوا بالاقوام الاخرى الغريبة في لغاتها وقومياتها .

٧ ـ ونزلت بطريق الفرات أسر من القبائل الارامية في « حاران» (حران) الى منطقة بابل في العراق ، وذلك قبل ظهور جماعة موسى

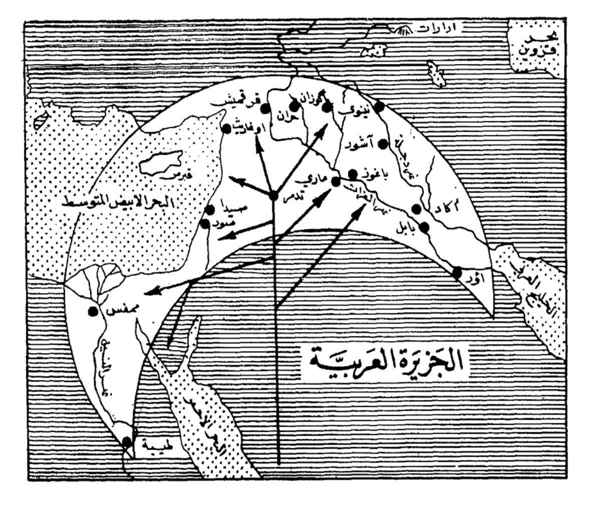
بنحو ٩٠٠ عام ، فولد ونشأ فيها ابراهيم الخليل صاحب رسالة التوحيد المشهور ، فاضطر تحت ضغط الوثنيين من السكان الى الهجرة من بابل الى وطن عشيرته في « حاران » (حران) ، ثم اتجه مغتربا في فلسطين ففي مصر ثم فى فلسطين مرة اخرى .

٨ ـ لذلك فيتوجب على كل عربي أن يتفهم حضارات هذه الاقوام التي دامت اكثر من الفي سنة قبل عصر موسى ويتوسع فى الوقوف على ما تركوه من تراث اصيل يعد من اهم عناصر التقدم في مسيرة التمدن البشري ، هذا مع ضرورة تفهم تاريخ اليهود على حقيقته .

عالم عربي واحد ـ وحدة جغرافية واحدة

٩ ـ ومن الواضح الجلي ان الهجرات المتتالية التي انبعثت من جزيرة العرب الى مختلف انحاء الهلال الخصيب كانت من أهم العوامل لتنمية الكيان الحضاري السامي في الشرق الادنى ، والسير به نحو التقدم والتطور في مختلف الميادين الزراعية والتجارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية ـ الكيان الذي انبثقت منه اقدم الانبراطوريات وأعظمها مما عرفه العالم في تاريخ البشرية ، أي الانبراطوريات الساميات الاربع : الاكادية ، والبابلية ، والآشورية والكلدانية .

١٠ ـ ولنلق الان نظرة شاملة على الوضع الذي كانت عليه بلاد الشرق الادنى وهي تسبح في بحر الالف الثالثة قبل الميلاد فماذا نرى ؟. عالما واسعا يؤلف فراغا شاسعا من الصحارى تحده الحضارة المستقرة على ضفاف وادي النيل من جهة الغرب وحضارة وادي الرافدين في جنوبي العراق من الجهة الشرقية : حضارتان اقعدتهما نعم الحياة بما اغدقته عليهما من ارض خصبة ومياه عذبة تقف بينهما شعب تائه فى صحرائه حائر فى امره في وجه الجفاف الذي صار يهدده في صميم حياته بعد ان حرمته الطبيعة من مصدر وجوده ، وهو متعطش ينشد حياة



الهجرات السامية العربية من جزيرة العرب

الى الهلال الخصيب

جديدة في وطن جديد يسد فيه حاجته للقمة العيش • فكان عليه ان يحارب الطبيعة ويشق طريقه عبر البوادي القاحلة الى الحياة التي كان ينشدها ، وهو واثق بوحي الغريزة من اجل الحياة بان ما وراء هـــذا البحر من الرمال عالما غير عالمه تتوفر فيه وسائل الخلاص ، مما هو عليه من مصير يضمر بين طياته هلاكا حتميا ، فقطع الصحارى كما قطع كولمبس البحار ليكتشف عالمه الجديد في اواخر القرن الخامس عشر بعد الميلاد حتى وجد الشعب ضالته في وادي الاردن وتخوم وادي النيل في جهة الغرب ووادي الرافدين في جهة الشرق ، فأخذت الحشود تتوافد على هـــذا العالم الجديد على موجات متتابعة كما توافد أهل اوروبا على اميركا في منتصف القرن السابع عشر بعد الميلاد ، فشمر هؤلاء الاشاوس قاهرو الصحارى عن سواعدهم واخذوا يبنون حياة جديدة في عالمهم الجديد ، مستغلين الزراعة والتجارة وتربية المواشي في بناء عالمهم الجديد ، فتمكنوا مـــن وضع اسس اعظم حضارة عرفها تاريخ الانسان القديم ، سالكين نفس الاساليب التي سلكها المهاجرون الى اميركا في تشـــييد حضارتهم التي ما زالت قائمة في عصرنا هذا • وتذكرنا هجرات ســكان الجزيرة الى الهلال الخصيب بهجرات النرمان المتوالية من أعالي اوروبا نحو جنوب القارة الاوروبية وشرقها في القرن التاسع بعد الميلاد وفيما بعده وتوغلهم في روسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا حيث طبعوا بلاد اوروبا بطـــابعهم الخاص الذي لا يزال موجودا الى يومنا هذا ، مع الفارق ان النرمـــان انحدروا من الشمال الى الشرق والجنوب والغرب في حين ان ســـكان الجزيرة صعدوا شمالا وشرقا نحو الهلال الخصيب في اسيا الغربية •

١١ ـــ فالجزيرة العربية اذن هي بحق مهد الحضارات السامية ،فقد قذفت بابنائها الاشداء الى ما وراء الصحارى بحكم سنّة تنازع البقـــاء ليحققوا لانفسهم العيش الرغيد في الاوطان الجديدة • وبفضل تشابك مصالح هذه القبائل بعضها ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة افضل ، تكوّن عالم عربي واحد ، تعززه وحدة جغرافية واحـــدة مترابطة الاجزاء تضم الجزيرة العربية (الام) وابناءها في البلاد المهاجر

اليها (وادي الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين الى مصر السفلى) ، وهو عالم متصل مفتوح السبل لاهله مرتبط بعضه ببعض بوشائج الاصل السامي العربي ، قائم بذاته ، يتكلم اهله لغة واحدة ، هي اللغة العربية الام : منهم اهل السواحل خبروا البحار ، ومنهم اهل الصحارى (اهل الوبر) احتضنوا البوادي ، ومنهم اهل المدن والقرى (اهل المدر) احترفوا الزراعة والتجارة ، ومنهم الرعاة اصحاب المواشي ، فقد صهرتهم الوحدة الجغرافية في مصير واحد مشترك ، فتعاونوا بالرغم من اختلاف نزعاتهم ، على وضع اسس الحضارة السامية الكبرى •

١٢ ـ وقد شمل هذا العالم حضارة ساحل البحر الاحمر والخليج العربي ، ثم حضارة ساحل البحر المتوسط ، فالحضارة الصحراوية البدوية ، ثم الحضارات النهرية : حضارة وادي الرافدين ، وحضارة شرقي وادي النيل الاسفل ، وحضارة وادي الاردن •

١٣ ـ غطى هذا العالم المنطقة الواسعة التي يحدها جبل حمرين والخليج العربي وخليج عمان من الشرق ، وبحر العرب وخليج عدن من الجنوب ، والبحر الاحمر والبحر المتوسط من الغرب ، وجبال طوروس من الشمال • وقد سيطر هذا العالم بجماله على طرق المواصلات الصحراوية ، كما سيطر بسفنه على طرق المواصلات البحرية • وكان كل ذلك قبل ان يشهد الشرق الادنى غزوات الاقوام الارية غير السامية ، وقبل ان يظهر النبي موسى على مسرح الاحداث بزهاء الفي عام •

١٤ ـ وكان وادي الرافدين امتدادا لجزيرة العرب ، بل كان جزءا لا يتجزأ منها ، فكان الموئل الرئيس الذي اسست على ضفافه المستوطنات الزراعية ، فامتدت على طول نهر الفرات ابتداء من كركميش (جرابلس الحالية) شمالا حتى مدينة « كيش » العراقية جنوبا ، وذلك لتوافر العناصر الاساسية للحياة فيه ، وهي الماء والارض وحرارة الشمس • ويرى الاستاذ (گوتزه) ان سيطرة الملوك الساميين القدامى امتدت الى أبعد من ذلك جنوبا ، فشملت بلدة « نيپور » أي (نفر) البلدة السومرية المقدسة . فقد اسس الاكديون في بداية الامر وطنهم الجديد على ضفافه



نقش مصري يرجع الى ما قبل حوالي اربعة آلاف سنة
يمثل عائلة سامية عربية مهاجرة من جزيرة العرب الى وادي النيل

النهر في جنوبي العراق ، ثم تبعهم العموريون فالبابليون فالاراميون ، وحذا حذوهم الاشوريون على نهر دجلة • وهؤلاء كلهم ساميون اصلهم من الجزيرة العربية ، يرجع اليهم الفضل فى تأسيس اعظم انبراطوريات العالم القديم واقامة دعائم الحضارة السامية الكبرى •

١٥ — وكان النظام القبلي الذي يستند الى العـــادات والعرف والتقاليد المتوارثة والذي يتولى فيه شيوخ القبائل السلطة هو السائد في هذا المجتمع الواحد ، اذ كانت تمتد سلطة رؤساء القبائل الى جميــع توابعها : بطونها وافخاذها ، أينما كانوا ، وكانت لهم انظمة خاصـــة بالحروب والغزوات التي تنشب فيما بينهم ، يتداولها ويتقبلها الجميــع عن طيب خاطر •

١٦ — وكانت القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب ، وهي **المعروفة عند المؤرخين ، بقبائل العرب البائدة ، تتمتع بحضارتهـــا** الصحراوية البدوية قبل ان تنقرض • وترجع هذه القبائل الى ارم بن سام بن نوح وقد كانت على ما اورده الاخباريون موجودة فى عهـــد ابراهيم الخليل الذي هو منها بصفته من القبائل الارامية • أما هـــلاك هذه القبائل فكان بسبب كوارث طبيعية نزلت بها كالعواصف الرملية او البراكين او الهزات الارضية ، ولعل اهم من كل ذلك انحباس المطر واجتياح الجفاف للمنطقة باسرها •

١٧ — يتجلى مما تقدم بابين التجلى ان الفترة التي عاشـــتها فلسطين في الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد هي فترة عربيـــة بحتة فى قوميتها وثقافتها ولغتها ، ولا توجد لعصر موسى واليهود الذي يأتي بعد اكثر من الفي عام من حياة فلسطين العربية هذه أية صلة بهذا العصـــر القديم الذي يرجع الى ما قبل خمسة الاف عام •

العرب مخترعو الحروف الهجائية (الابجدية)

١٨ — يكاد اجماع الباحثين على ان الكنعانيين العرب كانوا اول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة ومنهم انتقلت الى الفينيقيين وهم

من صلبهم ، ثم نقلها الفينيقيون بدورهم بين سنة ٨٥٠ و ٧٥٠ قبل الميلاد الى الاغريقية واللاتينية ، وهي ما زالت محتفظة باسمها العربي « الالف باء » (Alphabet) حتى يومنا هذا .

١٩ ـ ان اقدم كتابة بالاحرف الهجائية اكتشفت في شبه جزيرة سيناء ويعود تاريخها الى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ، وهذه الكتابة جاءت باللهجة الكنعانية القديمة وتعد حلقة الوصل بين الهيروغليفية التصويرية وبين الابجدية . ثم وجد بعد ذلك عدد من هذه النماذج بنفس الاحرف في جنوب فلسطين ، في « جازر » و « شكيم » و « نخبش » وقد كتبت كل هذه النماذج باللهجة الكنعانية القديمة ايضا .

٢٠ ـ وهنا يبرز الدور الرئيس الذي لعبته الجزيرة العربية في تطوير الثقافة العالمية وتقدمها ، حيث تفرع من الابجدية السينائية الكنعانية القديمة عدة ابجديات قسمها علماء اللغات الى مجموعتين رئيستين ، المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السينائية العتيقة . وقد تفرع من المجموعة الاولى الكنعانية وفروعها الفينيقية والقرطاجية والنبيية والارامية وفروعها النبطية والعبرية والسينائية المتأخرة والعربية وغيرها . اما المجموعة الثانية ، اي السينائية العتيقة ، فقد تفرعت منها السامية الجنوبية والسبئية والاثيوبية وغيرها .

٢١ ـ يتضح مما تقدم ان اللغة العبرية (بمعنى اليهودية) لم يكن لها أي دور لا من قريب ولا من بعيد ، فى نشوء الكتابة الابجدية وتطورها وهي لم تتعد كونها احد الفروع العديدة التي اقتبست أبجدياتها من الابجدية الكنعانية الاصلية في وقت لاحق .

« اورشليم » كنعانية عربية ، اسما ووطنا

منذ خمسة آلاف عام

٢٢ ـ اول من سكنها اليبوسيون (الكنعانيون) في نحو اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد حين هاجر الكنعانيون من جزيرة العرب الى

فلسطين • كانت لها حضارة عريقة ، سجل التاريخ اسماء عدد من ملوكها ، ودام كيانها السياسي زهاء الفي عام قبل ان احتلها الملك داود في اوائل الالف الاولى قبل الميلاد •

٢٣ ــ ورد اسم « اورشليم » (اوروسالم) في الكتابات الكنعانية التي تعرف برسائل العمارنة ، وهذه ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور مدونات التوراة باكثر من الف عام ، كما ورد اسم « يابيثي » في الكتابات المصرية الهيروغليفية ، وهو تحريف لاسم « يبوس » الاسم الذي كانت تعرف به « اورشليم » نسبة الى سكانها اليبوسيين قبل عهد موسى بعدة قرون •

٢٤ ــ يتضح مما تقدم ان تسمية «اورشليم» التي يحاول الصهيونيون اليوم ، عدها من الاسماء العبرية (بمعنى اليهودية) هي في الحقيقة كلمة كنعانية ارامية اصيلة وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور موسى بعدة قرون • ثم بعد ان ظهر اليهود وتكونت لديهم اللهجة العبرية المقتبسة من الارامية صار اليهود يسمونها بالعبرية « يروشلايم » • لذلك فدعوى ان اسم « اورشليم » عبري الاصل (بمعنى يهودي) دعوى باطلة لا تستند الى مصدر تاريخي ، بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية قبل ان تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية باكثر من الف عام كما تقدم • وقد ذكرها العرب في الجاهلية في اشعارهم بهذه التسمية فقالوا « اوريشلم » •

٢٥ ــ بقيت قلعة « اورشليم » التي كانت تسمى «حصن يبوس» أو « حصن صهيون » صامدة امام جميع الغزاة قبل عصر النبي موسى بنحو ألفي سنة ، وقد بقيت ثابتة ثلاثمائة عام امام الموسويين حتى تمكن الملك داود من احتلالها بعد الاستيلاء على مصدر مائها من غير قتال على الارجح •

٢٦ ــ تعترف التوراة اعترافا صريحا بان ليس لليهود أية صلة بتاريخ اورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية ، فلما خاطب حزقيال اورشليم قال : « ابوك اموري وامك حثية (حز ١٦ : ٣) ،

وذلك على اعتبار ان ملوك اورشليم كانوا من العموريين على ما جاء فى التوراة حيث اعتبرت « ادوني صادق » اخر ملوك اورشليم في جملة الملوك العموريين (يش ١٠ : ٣) •

٢٧ ــ تؤكد التوراة ان اليهود لم يستطيعوا طرد اليبوسيين من اماكنهم فى اورشليم « فسكنوا معهم الى هذا اليوم » • (يش ١٥ : ٦٢) ومما يؤيد ذلك ان الملك داود لما اراد ان ينشيء الهيكل في اورشليم اضطر الى شراء الارض التي اختارها لبناء الهيكل من اصحابها اليبوسيين (٢ صم ٢٤ : ٢٤ــ٢٥) •

٢٨ ــ يستخلص من الاحداث التاريخية المتقدمة والمأخوذة من التوراة ذاتها ان مدينة القدس كانت منذ خمسة الاف عام مدينة عربية كنعانية ، وقد بقيت بيد سكانها اليبوسيين أكثر من الفي عام قبل عهد موسى ، كما بقيت بيد اهلها ثلاثمائة عام بوجود الموسويين في فلسطين، ثم بعد دخول اليهود اليها في عهد داود بقي سكانها على اراضيهم وفي بيوتهم وعاش اليهود فى فترة وجودهم أقلية بينهم حتى تم سبيهم الى بابل في عهد الكلدانيين ، فعاد واستقل سكان اورشليم الاصليين بمدينتهم ، كما ان اليهود الذين رجعوا الى اورشليم في عهد الاخمينيين الفرس كانوا أقلية ضئيلة وقدمنعهم سكان اورشليم العرب من اعادة بناء هيكلهم ، وقد استمر وجودهم كاقلية ضئيلة فى المدينة كما تقدم حتى ازيلوا نهائيا منها في عهد الرومان فرجعت المدينة الى اهلها كالسابق •

٢٩ ــ واوضح دليل على ان سكان اورشليم كانوا في جميع الادوار التاريخية أكثرية في المدينة ان اليهود في عهد الانقسام مارسوا هم وملوكهم الوثنية وبنوا المرتفعات لعبادة الاصنام فى نفس اورشليم ، وظلوا على هذا المنوال يمارسون الوثنية ثلاثمائة عام ، مما يثبت ان الوثنيين أهل المدينة كانوا الاغلبية في اورشليم ففرضوا ديانتهم الوثنية على الاقلية اليهودية خلال فترة وجودهم فيها .

عصر ابراهيم الخليل عصر عربي قائم بذاته

لا صلة له بعهد موسى او عهد اليهود

٣٠ـ ان العصر الذي عاش فيه ابراهيم الخليل(ع)عصر قائم بذاته، له مقوماته وقوميته ولغته ، وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبلغتها الام وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها ، ويعد مؤرخو العرب القبائل البائدة او العرب العاربة هي والقبائل الارامية التي كان ينتمي اليها ابراهيم الخليل من اصل واحد ، فكانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعا الى ارم ويسمونهم بالارمان كما جاء في « تاريخ سني الملوك» لحمزة الاصفهاني.وقد نبه القرآن الكريم على ذلك بربط صلة ابراهيم الخليل بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق وليس بفلسطين التي كان مغتربا فيها بتأكيد التوراة ذاتها ، لذلك فلا صلة لعصر ابراهيم الخليل بعهد موسى الذي يرجع الى زمن لاحق يفصل بينهما فاصل يمتد عبر الزمن حوالي سبعمائة عام .

٣١ ـ ان ارض كنعان (فلسطين) باعتراف التوراة ذاتها كانت ارض غربة بالنسبة الى آل ابراهيم وآل اسحاق وآل يعقوب،اذ كانوا مغتربين فى ارض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الاصليين ، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين . اما وطنهم الاصلي فهو « ارام النهرين » ، أي منطقة حاران (حران الحالية)حيث كانت العشائر الارامية التي ينتمون اليها قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية ، ثم نزحت فروع من هذه القبائل الى جنوبي العراق (منطقة بابل) فكان ابراهيم الخليل من ذريتها .

٣٢ ـ وتدل الاكتشافات الاخيرة على ان ابراهيم الخليل ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور موسى واتباعه بسبعمائة سنة ، وهو نبي وزعيم عربي مرتبط بوطنه الاصلي ، وطن آبائه واجداده

في جزيرة العرب وارض الحجاز. وهذا ينطبق كل الانطباق مع ما ينورنا به القرآن الكريم ، اذ يربط صلة ابراهيم الخليل بالبيت العتيق . لذلك لا يصح حشر دور ابراهيم الخليل باليهود الذين لم يكونوا قد ظهروا الى عالم الوجود الا بعد اكثر من الف عام من عصره ، وعلى الكتّاب والباحثين العرب ان يكفوا عن ترديد الخطأ الشائع من ان اليهود هاجروا مع ابراهيم الخليل من العراق الى فلسطين ، لان هذا القول لا يستند الى أي سند علمي او واقع تاريخي ، اذ لم يكن اليهود في عالم الوجود في زمنه .

٣٣ ـ ليس لهجرة ابراهيم الخليل من العراق أية صلة بهجرة الموسويين من مصر المعروفة بالخروج ، فالاولى وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يكون لقوم موسى وجود ، لذلك لا يصح ربط هجرة ابراهيم الخليل باليهود ، فضلا عن اختلاف الاهداف والظروف في كل منهما ، وعلى الباحثين والكتّاب ان يكفوا عن ربط هجرة ابراهيم الخليل من العراق بهجرة ما يسمى ببني اسرائيل من مصر بقولهم ان هجرة ابراهيم الخليل كانت هجرة الاسرائيليين (الموسويين) الاولى وان هجرتهم من مصر الثانية لانعدام اية صلة بينهما .

٣٤ ـ وكما ان الكتّاب صاروا يخلطون بين هجرة ابراهيم من العراق وهجرة اليهود من مصر بقيادة موسى كذلك اخذوا يربطون بداية تاريخ اليهود بهجرة ابراهيم الخليل من ارض العراق ، وهذا لا يتفق مع الحقائق التاريخية والمكتشفات الاثارية الحديثة ، لان اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود الا بعد عصر النبي موسى وان كلمة « يهود » مشتقة من مملكة يهوذا التي ترجع الى عهد الانقسام . لذلك لا يمكن تحديد بداية تاريخ اليهود بغير زمن ظهورهم بعد عهد موسى الذي حدده الباحثون بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اي بعد ابراهيم الخليل بسبعمائة عام كما قد أشرنا الى ذلك عدة مرات للتأكيد . لذلك فعلى الباحثين والمؤرخين ان يتمسكوا بامانة البحث واسلوب المنطق وان

يراعوا التسلسل التاريخي ، فلا يخلطوا بين عصر ابراهيم الخليل ويعقوب وبين اليهود الذين ظهروا بعد عهد موسى ، وهما دوران تفصل بينهما عدة قرون .

٣٥ ـ ان نعت ابراهيم الخليل بـ « العبراني » كما ورد في التوراة يراد به معنى العبريين القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الارامية العربية التي ينتمي اليها ابراهيم الخليل نفسه ، وبهذا المعنى وردت كلمة « عبري » و « عبيرو » و « خبيرو » في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرا وهي تعود الى ما قبل ظهور النبي موسى بعدة قرون . لذلك يجب التمييز بين العبري واليهودي فى بحث تاريخ فلسطين القديم ، لان استعمال كلمة « عبري » بمعنى يهودي في هذا الدور يربط اليهود بعصر ابراهيم الخليل ، في حين ان عصر ابراهيم الخليل عصر عربي خالص قائم بذاته لم يكن لليهود أية صلة به ، لذلك لم يرد مصطلح « عبري » او « عبراني » في القرآن الكريم مطلقا وانما ورد فيه ذكر « الاسرائيليين » و « قوم موسى » و « يهود » (لذين هادوا) . وقد نبه القرآن الكريم الى هذه الناحية بقوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون .. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

٣٦ ـ ان الاله الذي كان يدعو ابراهيم الخليل الى عبادته هو غير اله اليهود لان دعوة ابراهيم الخليل الى عبادة الاله الواحد ، دعوة عامة موجهة الى جميع الوثنيين في عصره من غير تمييز بين الناس ، ولم يكن قد وجد اليهود بعد ، وبعد ان انحرف اليهود عن ديانة موسى بعد عهد موسى عبدوا الههم الخاص بهم ، الاله الذي لا يهمه من العالم والخلق غير اليهود وهم شعبه المختار ، على غرار مبدأ التفريد (Henotheism) الذي اعتنقته الاقوام القديمة حيث كانت القبيلة تعبد الها واحدا من بين مجموعة الآلهة من غير أن تنبذ عبادة الآلهة الاخرى والقضاء عليها . لذلك تعد دعوة ابراهيم الخليل الى وحدانية الله الخالصة اول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد

(*Monotheism*) وهي عربية لغة ووطنا ، ثم جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، النبي العظيم خاتم الانبياء ، وقد نزلت عليه باللغة العربية أيضا ، لان اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم الخليل هي اللغة العربية الام ووطنها الاصلي الجزيرة العربية،وكانت فى تلك الازمان لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل العربية النازحة من الجزيرة الى الهلال الخصيب ، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الاصلية الى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية كما تقدم بيانه .

٣٧ ـ يذكر اليهود في كتبهم التي يعلمونها للنشء الجديد او التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم « ان الشعب اليهودي نزح الى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الالف الرابعة قبل الميلاد بقيادة ابراهيم الخليل ولم يكن عددهم انذاك يتجاوز اربعة آلاف شخص »[١] . وقد قبل العرب هذا الهراء على علاته وصاروا يرددون ذلك دون تمحيص او دون ان يقفوا لحظة ليفكروا ويسألوا انفسهم : اين كان اليهود في عصر ابراهيم الخليل ، وكيف تم التوصل الى احصاء عددهم وهو اربعة الاف شخص في حين أن اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود الا بعد الالف الرابعة قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ سنة !. لذلك فعلى المسئولين في البلاد العربية أن يوحدوا جهودهم في سبيل شن حملة واسعة لاظهار تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة صلة اليهود به . وهذا لا يتم الا **بادخال هذا الموضوع فى مناهج التعليم فى جميع البلاد العربية واعداد كتب خاصة لتدريس تاريخ فلسطين القديم في المدارس وتوزيع الكتب بمختلف اللغات تظهر هذا التاريخ على حقيقته وذلك ردا على مثل هذه** الادعاءات المزيفة .

عصر النبي موسى والتوراة

٣٨ ـ ظهر النبي موسى في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ،

١ـ انظر كتاب سولوف « كيف نما الشعب اليهودي » ؟ :
Mordecai I.Soloff,"How the Jewish People grew up?"

أي بعد زمن ابراهيم الخليل بسبعمائة عام ، وهو على رأي الباحثين مصري تربى في البلاط الفرعوني وكان قائدا مصريا ، كما كان على دين التوحيد الذي اعتنقه اخناتون فرعون مصر (١٣٧٩ — ١٣٦٢ ق.م) القائم على عبادة الاله الواحد عن طريق نشر الاخاء العالمي وان حملته على ارض كنعان (فلسطين) التي أطلق عليها كتبة التوراة « خروج بني اسرائيل » هي حملة مصرية مؤلفة من جماعة من الجنود المصريين ومعهم فلول من بقايا الهكسوس الذين كانوا يدينون بدين التوحيد ، وقد ورثوه عن اخناتون ، فاضطروا الى الهرب من مصر من وجه الاضطهاد بعد موت اخناتون ، وقد جاءوا بقيادة النبي موسى ليحتلوا بقعة من الارض المعمورة في كنعان يأوون اليها . وهؤلاء هم « قوم موسى » جاءوا الى ارض كنعان وهم غرباء عنها يتكلمون اللغة المصرية ولم تكن لهم اية صلة ببني اسرائيل الذين كانوا قد جاءوا الى مصر في عهد يوسف قبل **حوالي ستمائة عام والذين انصهروا واندمجوا بشعب مصر وبيئة مصر نهائيا .**

٣٩ — ويرى المؤرخون الغربيون ان موسى أخذ بعقيدة التوحيد الخالصة من اخناتون ، فيقول العلامة « ويج في كتابه « حضارة الشرق الادنى » **ان اول من قال بالوحدانية الخالصة هو اخناتون ، ويبدو ان موسى وقد امضى طفولته وصباه وشبابه في مصر عرف هذه العقيدة وتأثر بها ودعا لها » .**

٤٠ — وتدلنا المكتشفات الآثارية على ان هذه الغزوة ليست الغزوة المصرية الاولى لفلسطين ، فقد سبقتها عدة غزوات مماثلة على عهد الفراعنة الاوائل ، فقد نقلت لنا الكتابات المصرية القديمة ان الفرعون تحوطمس الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق.م) هو وحده قام بسبع عشرة حملة على ارض اسيا وهذه كلها عن طريق كنعان بطبيعة الحال . وهناك دلائل قوية على ان الحملة على فلسطين التي نسبها كتبة التوراة الى بني اسرائيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة النبي موسى ان هي الا حملة مصرية

بحتة على نمط الحملات المصرية العديدة التي سبقتها ، فقائدها نبي مصري وافرادها من بعض الجنود المصريين ومن فلول بقايا الهكسوس الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصـــر ، والبعض الآخر ، كما يقول الدكتور غوستاف لوبون ، من الاسرى والعبيـــد الفارين ومما لا شك فيه ان جميعهم كانوا يتكلمون اللغة المصرية وهؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) •

٤١ ــ ومما يثبت ان الجماعة التي عاشت في مصر عيشة العبودية واجبرت على العمل في البناء قبيل الخروج والتي سماها كتبة التوراة ببني اسرائيل هي من بقايا الهكسوس وليس من بني اسرائيل ، اذ عثر على كتابة من عهد رعمسيس الثاني ، وهو الفرعون الذي وقع الخروج في عهده ، سميت فيها هذه الجماعة بـ « العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك » والمقصود هنا بالعبريو القبائل العربية البدوية وليس بني اسرائيل (انظر الفقرة ٣٥ عن العبيرو) ، وهذه هي نفس التسمية التي كان الهكسوس يعرفون بها عند المصريين اذ كانوا يطلقون عليهم اسم « ملوك الرعاة » و « رعاة اسيا • »

٤٢ ــ ثم أخذ الموسويون بعد مرور عدة قرون بالثقافة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها كما أخذوا بلغتها الكنعانية • وهناك دلائل على أنهم انحرفوا عن ديانة موسى التي كانت تقضي بعبادة الاله الواحـــد خالق السموات والارض وهو الإله الذي كان يدعو الى عبادته اخنـــاتون فرعون مصر عن طريق نشر الاخاء العالمي بين الانسان وأخيه الانسان ، فمنذ عهد موسى وهو لم يزل حيا عاد أتباعه يعبدون العجل ويرقصون حوله وزاغوا سريعا عن الطريق الذي اوصاهم به الله • وتزعم التوراة ان الملك سليمان ذاته انحرف واشرك بالله اذ أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيثيات • وتشير التوراة أيضا الى ان الموسويين قد عادوا الى عبادة الاصنام واستمروا عليها بعد الانقسام مباشرة هم وملوكهم حوالي ثلاثمائة عام ،

ذلك ما يدل دلالة قاطعة على أن الديانة الوثنية كانت هي المتغلبةفي البلاد وان اليهود كانوا أقلية طيلة مدة بقائهم فيها •

٤٣ ــ ان شريعة موسى الاصلية لا يعرف شيء عنها ، اذ لم يعثر على أي أثر لها ، لذلك فغير معلوم باية لغة كتبت ، ولكن القرائن كلها تدل على انها كتبت باللغة المصرية وبالهيروغليفيةوهي لغة موسىواتباعه• اما التوراة المتداولة في الوقت الحاضر فقد كتبها الكهنة والاحبار اليهود فى فترة الاسر في بابل (٥٨٦ ــ ٥٣٩ ق •م) ، أي بعد عصـــر النبي موسى بحوالي ثمانيمائة عام وبعد أن انحرف الموسويون عن دين موسى وعبدوا الاصنام ثلاثمائة قرن في فلسطين قبل سبيهم • وهؤلاء هم بقايا مملكة يهوذا المنقرضة وقد عاصروها في اواخر أيامها ، وكانت احلامهم منصبة على العودة الى فلسطين فصمموا مندفعين بهـذا الحلم الوهمي ديانة اشبعوا فيها شهواتهم ورغباتهم لتحقيق الهدف الذي رسموه لها ، وكان ذلك بعد عصر ابراهيم الخليل باكثر من الف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بثمانيمائة عام كما تقدم •

٤٤ ــ ولقد ثبت ان ما ورد في هذه التوراة من شرائع وتقاليــد وطقوس دينية مقتبس كليا من الشرائع الكنعانية ، فيقول البروفسور ووترمن في ذلك : « لقد اصبح من المسلم به الآن ان جميع الاعيـــاد اليهودية ما عدا عيد الفصح ، كانت بالاصل من الطقوس الدينية فى كنعان وان شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها يكوّن مجموعة من الشرائع لنا كل الحق أن نعتبرها اساسا من عهود ما قبل اسرائيل » • كما يقول الاستاذ اولمستيد الخبير في تاريخ فلسطين القديم : « والفضل يرجع الى حمورابي وشريعته في حمل الكنعانيين على اعادة النظر فى شريعتهم الاولى وتنسيقها من جديد واضافة زيادات وتنقيحات اليها وجعلوها شريعتهم الخاصــة بهم ، وهي نفس الشريعة التي جاءت في التوراة وقد حافظ عليها اليهود بادخالها في كتبهم المقدسة فوصلت الينا عن طريق ممارستهم الفرائض التي وردت فيها • » ويؤكد كذلك الاستاذ ووترمن « ان التحقيقات

الاركيولوجية التي يمكن ان تزودنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية . »

٤٥ ــ يتضح مما تقدم ان اليهود لم تكن لهم أية مساهمة في تقدم الحضارة الانسانية فلغتهم مقتبسة من الارامية وشرائعهم مأخوذة عن الكنعانيين والبابليين والمصريين اي انهم تسلموا حضـارة لم تكن من ابداعهم بل كانت من نتاج غيرهم . وهذا يدل على أنه ليس فيما دون في التوراة أدب مبتكر خاص باليهود لان ما ورد فيها مقتبس من مدونات سبقتها كان رجال الدين من اليهود محيطين بها . لذلك فاذا كان لليهود فضل على الحضارة فهو ينحصر بمحافظتهم على جانب من ثقافة الكنعانيين العرب وآدابهم الدينية وجغرافية بلادهم وذلك باقتباسها وضمهـا الى كتبهم المقدسة ثم نقلها الينا عبر الزمن الطويل .

٤٦ ــ ان اهم ما كان يهدف اليه كتبة هذه الديانـة هو ارجاع نسبهم المجهول الى ابراهيم الخليل الذي يمثل أقدس وأقدم شخصيات ذلك العصر ثم تثبيت عقيدة الارض الموعودة وعزوها الى ابراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها ، وذلك من غير ان يتطرقوا الى الفاصل الذي يفصل بينهم وبين عصر ابراهيم الخليل وعصر موسى .

٤٧ ــ وانطلاقا من هذه الاحاسيس والعقد النفسية المستحوذة على هذه الزمرة الكهنوتية اتخذ كتبة هذه الديانة من النبي موسى بطلها ومن الإله يهوه ربها الخاص بها دون بقية الناس ونسبوا كل شيء تنوه مما يمس مصلحتهم ويحقق احلامهم اليهما . كما اتخذوا من يعقوب (اسرائيل) النسب واعتبروه جدهم ، ومن أبرام (ابراهيم الخليل) الصلة الروحية واعتبروه جدهم الاكبر مما يجعلهم أهلا ليكونوا الشعب المختار ، لان هذه الشخصيات كانت تتمتع بقدسيتها الموروثة وسمو مسلكها الكهنوتي في بلاد كنعان بل في الشرق الادنى كله . هذا وقد اتخذوا من كنعان عقيدة الوطن الموعود الذي « يفيض لبنا وعسلا » وعزوا كل ذلك الى الإله « يهوه » الذي ابتـدعوه ربا خاصا بهم والى ابراهيم ويعقوب

وموسى وكلهم بريئون منه ، وبكتابة هذه التوراة الجديدة واذاعتها على لسان عزرا (كاتب شريعة إله السماء) تبدأ الديانة اليهودية التي تمثل نفس المبادىء التي تستند اليها الصهيونية اليوم •

٤٨ ــ والنظرية التي يعتمد عليها عدد غير قليل من العلماء ان اكثر الاســماء التي اطلقها كتبة الاسفار على أبطال قصصهم هي في الاصل اسماء اشخاص كنعانية عرف كل منهم باقامته في احدى الامكنــة من فلسطين فسميت باسمائهم تكريما لهم ، وقد اتخذ اليهود هذه الاســماء في توراتهم اسلافا لهم •• وهكذا فقد حاك اليهود حول هذه الاسماء وامكنة سكنى اصحابها ما شاء لهم الهوى من القصص والاســاطير واحتكروها باسم اسلافهم المزعومين • وهذا يفسر لنا كيفية شــيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية ، قديما وحديثا ، ان ابراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود الى فلسطين في حين ان اليهود ظهروا بعد عهد موسى اي بعد ابراهيم الخليل باكثر من ألف عام وقد قبلت الاجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب تواريخها •

٤٩ ــ ويلاحظ ان اكثر الكتاب العرب بل جميعهم يقلدون التوراة باهمال التمييز بين عصر وآخر عندما يبحثون تاريخ فلسطين القــديم ، فيأخذون باسلوب التوراة في عرض الحوادث التاريخية ، وآخر ما مر عليّ من كتب تبحث في تاريخ فلسطين كتيّب طبعته على ما يظهر ادارة الجامعة العربية في لندن باللغة الانكليزية بعنوان « غرباء في فلسطين » ، وكنت اتصور من العنوان قبل ان اتصفحه ان المؤلف يريد ان يبرهن على ما جــاء في العنوان ، أي ان يبرهن على ان اليهود كانوا « غرباء في فلسطين » ولاصلة تاريخية لهم بها وهم طارئون عليها كما هو الواقــع التاريخي فعلا ، واذا بالكاتب يستعرض تاريخ اليهود في فلسطين بنقل الحوادث كما وردت في التوراة من غير تمييز بين عصر وآخر ، ولمــا ذكر تاريخا واحدا من تاريخ فلسطين القديم وقع في خطأ لا يغتفر على

المؤرخ المحقق ، وهو جعل تاريخ غزو فلسطين على عهد يشوع سنة ٧٠٠ قبل الميلاد في حين ان التاريخ الحقيقي هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اي ما قبل التاريخ المذكور بستة قرون[1] . والمفروض انهذا الكتيب اعد لاظهار حق العرب في فلسطين في حين انه لم يحقق الا عكس المطلوب فخدم كاتبه الدعاية الصهيونية من حيث لا يدري ، وذلك بقبول كل ما ورد في التوراة كحقائق تاريخية مقبولة ، وهذا هو الذي يريده الصهيونيون بالضبط فجاء على لسانالعرب انفسهم .

٥٠ ــ ومن اغرب ما ورد في هذه التوراة التي حاكها الكهنة في الاسر البابلي ان تعاليمها الخاصة بالحرب مع اهل فلسطين توصي بل تأمر بقتل الاطفال والنساء والشيوخ والبهائم ، كما توصي باحراق المدن وابادة اهلها وعدم استبقاء نسمة ما منهم . وقد جاء في القرآن الكريم تحذير لبني اسرائيل من مغبة هذه الاعمال المنكرة التي ادخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله ، فنزلت الآية الشريفة : « من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا » . وفي القرآن الكريم آيات اخرى تأمر بالمودة ، وتجنب المعاداة ، والبر بمن لا يقاتل ، تقييما للنفس حتى بالنسبة الى الاعداء . فقد جاء في سورة الممتحنة : « عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة .. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » . وبمثل ذلك يأمر الانجيل الامة المسيحية فيقول : « زيدوا على ايمانكم الفضيلة ، وعلى التقوى المودة الاخوية ، وعلى المودة الاخوية المحبة . »

٥١ ــ ومما هو اكثر غرابة في هذه الديانة انها اتهمت موسى ، الرسول ، كما اتهمت اخاه هرون بخيانة الرب فحكم عليهما الرب بالموت لانهما لم يقدساه ! وقد كان من الطبيعي ان تثار تساؤلات حول ذلك :

(1) "Strangers in Palestine, " London , 1970 .

هل مات موسى موتا طبيعيا ، وهل امر الإله بموته حقا ؟.. فقد استخلص الباحث الالماني سيللين من بعض الفقرات في سفر هوشع من العهد القديم ان هناك دلائل على ان موسى مات شهيدا حيث اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريبا . وهناك من يرى ان يشوع بن نون هو الذي اغتال موسى حيث استصحبه الى اعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن ان الامر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقا لما قد امر به الرب . وهكذا تجعل هذه الديانة النبي موسى خائنا فكيف اذن تنسب هذه الديانة اليه وتسبغ عليها صفة القدسية ؟

٥٢ ـ هذه هي الديانة اليهودية التي ابتكرها الكهنة في الاسر للخروج من محنتهم وذلك بعد مرور ثمانيمائة عام على عهد موسى وبعد انحرافهم عن دين موسى واتهامه بالخيانة ، وهذه هي توراتهم التي بين ايدينا اليوم ، فهي ترتكز على نقطة رئيسة واحدة تدور عليها جميع الحوادث الرئيسة ، ألا وهي وعد الرب بمنح ارض كنعان لليهود مع منحهم الحق بقتل اهل كنعان وابادتهم عن آخرهم ليحلوا محلهم . ما اعظمها من ديانة مقدسة تقوم على اساس قتل النساء والاطفال والشيوخ!.. نعم هذه هي الديانة التي يستند اليها الصهاينة اليوم لتبرير اجلاء أهل فلسطين وقتلهم ليحلوا محلهم لان توراتهم رفعتهم الى مقام الشعب المختار وقد اصطفاهم الرب من دون الاقوام .

٥٣ ـ وينبهنا القرآن الكريم الى تحريف توراة موسى وانحراف اليهود عنها بما كتبوه وقالوا هذا من عند الله ، فقد جاء في الآية ٧٩ من سورة البقرة قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون . » وفي الآية ٧٥ من نفس السورة : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » . وفي آيات اخرى تأكيد لتحريف اليهود للتوراة: « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»

(سورة النساء الآية ٤٦ ، سورة المائدة الآيتان ١٣ و ٤١) ، « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ،بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله » (سورة الجمعة الآية الخامسة) .

٥٤ ـ والتوراة التي دونها اليهود في الاسر عند عرضها للحوادث التاريخية ، لم تحدد التسلسل الزمني ، ولم تنسق الحوادث بحسب ازمانها وادوارها . وذلك لكي يلتبس الامر على القارىء فيعجز عن تحديد مراحل الاحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها . والارجح ان مدونيها تعمدوا ذلك لافساح المجال لارجاع تاريخ اليهود الى ازمنة سابقة لوجودهم ، فخلطوا بين ادوار تفصل بينها عدة قرون ، اذ ربطوا احداثا تعود الى عصور متباعدة وعدوها عصرا واحدا ، ومن ذلك مثلا ربط عصر ابراهيم الخليل بعصر ملوك الفلستينيين وعدوهما عصرا واحدا ، فجعلوا ابراهيم الخليل معاصرا لهؤلاء الملوك يقابلهم ويحدثهم ، في حين ان ثمة فاصلا بينهما يمتد زهاء سبعة قرون ، ومثل ذلك فعلوا بربط عصر ابراهيم الخليل بعصر موسى واتباعه على الرعم من وجود فاصل بين الدورين يمتد زهاء سبعة قرون من الزمن أيضا ، كما أنهم ربطوا عصر اليهود الاخير بعصر موسى على الرغم من وجود فاصل يفصل بينهما يمتد زهاء ثمانيمائة عام . وقد عدوا كذلك ابناء يعقوب الذين عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد موجودين في عهد موسى ويشوع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد وزعت ارض فلسطين عليهم . ونكرر هنا ما سبق ان ذكرناه في المادة (٤٨) من ان اسماء الامكنة التي نسبت في التوراة الى الاسباط الاثني عشر هي اسماء كنعانية قديمة لاشخاص سكنوها فسميت باسمائهم تكريما لهم فاحتكرها اليهود باسم اسلافهم المزعومين .

٥٥ ـ وقد تعمد مدونو التوراة أيضا اقصاء الكنعانيين والفينيقيين سكان فلسطين الاصليين من كتلة الساميين لعداء اليهودالشديدلهم،مع انهم كانوا يعلمون حق العلم انهم هم الساميون العرب اهل البلاد ،في

حين انهم حشروا في الاسرة السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين • وقد صب كتبة التوراة جام حقدهم على الكنعانيين فنعتوا كنعان بالملعون « وعبد العبيد يكون لاخوته وعبدا ليافت » •

العبرية واليهودية والتوراة

٥٦ ــ يتفق الباحثون على ان الموسويين بعد ان استقروا في ارض كنعان اخذوا بالثقافة الكنعانية وبحضارتها بما فى ذلك اللغة الكنعانية التي كان يتكلم بها اهل البلاد ودياناتها الوثنية ، ولم تكن قد تكونت لهجة عبرية الا في وقت متأخر • والارجح ان لغة هؤلاء الموسويين عندما جاءوا الى كنعان كانت اللغة المصرية ، ونستخلص من ذلك ان الموسويين كانوا اقلية بين السكان وان الحضارة الكنعانية كانت هي السائدة حتى في عهد الملوك في القرن العاشر قبل الميلاد ، أي بعد زمن موسى بحوالي ثلاثمائة عام ، بدليل ان الديانة الوثنية الكنعانية كانت هي السائدة فى البلاد وبقيت هي السائدة حتى السبي البابلي وما بعده •

٥٧ ــ وبعد انتشار اللغة الارامية في الشرق اخذ الموسويون بها وصاروا يتكلمون بهــا فيما بينهم ، وفي غضون ذلك تكونت لدى كهنتهم لهجة ارامية خاصة بهم وهي التي صارت تعرف فيما بعد بالعبرية واخذوا يكتبون بها فاستعملوا حروفا فينيقية قديمة في بداية الامر ثم اخذوا يكتبون بالخط السامري ، وبعد السبي البابلي وضع الكهنة فى الاسر في بابل توراتهم بهذه اللهجة • ولما كانت هذه اللهجة مقتبسة من اللغة الارامية فصارت تعرف بارامية التوراة • وقد استعملوا الخط المسمى بالخط المربع الذي اقتبسوه بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد من اقدم الاقلام الارامية وحفظوه الى يومنا هذا ويسمى الآن بالخط الاشوري المربع • وهذه هي بالطبع غير لغة

موسى المصرية التي نزلت بها توراة موسى الاصلية كما ان محتوى هذه التوراة هو غير محتوى توراة موسى ٠

٥٨ ـ ومع ان التوراة هذه كتبت بالعبرية (ارامية التوراة) كان اليهود يتكلمون بالارامية ما بينهم واقتصرت العبرية هذه على كتب التوراة وحدها ، واوضح دليل على ان اللغة العبرية اصبحت لغة مهجورة ميتة ان آخر من بقي من اليهود في العراق الذين استوطنوا المناطق الجبلية المنعزلة في شمال العراق (منطقة زاخو) كانوا الى وقت قريب يتكلمون بلارامية وليس بالعبرية ، وهذا يبرهن على ان العبرية لم تكن من اللغات الحية اذ بقيت مقتصرة على كتب التوراة وحدها ٠

٥٩ ـ وقد درج بعض الباحثين على اعتبار وجود عبرية قديمة وعبرية متأخرة فى حين انه لا توجد سوى عبرية واحدة هي التي كتبت بها التوراة في الاسر في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده ٠والحقيقة ان المقصود بالعبرية القديمة هو الكنعانية القديمة لغة أهل البلاد الاصلية لا غير ، وهي التي اخذ بها الموسويون بعد عصر موسى ، لان العبرية لم تظهر الا بعد أن اخذ الكهنة اليهود يدونون توراتهم فى اللهجة المعروفة بارامية التوراة المقتبسة من الارامية ٠ ومن الغريب ان نجد مثل الابراشي استاذ اللغات السامية يقول في كتابه « الآداب السامية » : « يتضح ان العبرية القديمة نشأت فى فلسطين حتى قبل مهاجرة الاسرائيليين الى كنعان ٠ » فاذا كانت هذه اللغة نشأت في كنعان قبل هجرة الاسرائيليين الى كنعان كيف يطلق عليها اسم العبرية (بمعنى اليهودية) قبل ان يكون قد وجد اليهود في كنعان ؟ ٠٠ والاغرب من ذلك انه لم يزل بعض الباحثين يعد اللغة العبرية بمعنى اليهودية اصلا لكل الكتابات السامية الاخرى ، ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء وبين وجود الكنعانيين فى كنعان قبل ظهور اليهود في كنعان بحوالي الفي عام ؟٠٠ هذا مع العلم ان علماء اللغات المحدثين قد ادركوا الآن ان العربية اشد صلة بالسامية من العبرية وابعد فيها أثرا

في استيعابها التراث الانساني ونقله الى العالم الغربي • لذلك نقد انصب التوجيه الفكري على التراث العربي ويزداد هذا الانصباب اكثر فاكثر كلما تعمق العلماء في التعرف على هذا التراث وان الجامعات الكبيرة في جميع اقطار العالم اخذت تدرس العربية ضمن مناهجها •

٦٠ — ومن المهم ان تذكر في هذا الصدد ان محطة اذاعة لندن قد اعلنت مساء يوم ٢٢ شباط ١٩٧١ ما يشير الى اكتشاف مهم ، وهو العثور على مخطوطات في منطقة الخليل بلغة سكان فلسطين الاصليين ترجع الى سنة ٧٠٠ ق•م ، وهذا ما يؤيد رأينا اعلاه ، وهو ان اللغة العبرية متأخرة وان المتكلمين بها اقلية في حين ان لغة سكان فلسطين هي التي كانت سائدة في البلاد وتعد أقدم اللغات في فلسطين — وهذه العبارة نسمعها لاول مرة من جهة اجنبية وهي تعترف بالحقيقة ، اي ان اليهود كانوا اقلية في فلسطين وان لغة سكان فلسطين الاصلية هي التي كانت سائدة في البلاد لا العبرية بمعنى اليهودية كما اعتاد الباحثون ترديد ذلك في جميع كتاباتهم •

٦١ — يتضح مما تقدم ان اليهودية ، أي الدين اليهودي المتمثل بالتوراة الحالية ، تبدأ بعد تدوين الكهنة لهذه التوراة في الاسر واذاعة شريعتهم هذه على لسان عزرا (كاتب شريعة الاله) في القرن الخامس قبل الميلاد ، وهي غير الشريعة التي نزلت على موسى قبل ثمانيمائة عام والتي انحرف عنها اليهود ، وهذه الديانة اليهودية هي صهيونية اليوم بعينها ، اذ تهدف ، كما تهدف الصهيونية الحالية ، الى احياء اللغة العبرية الميتة واستغلال عاطفة الدين الذي صيغ في الاسر في بابل للتصميم على اقامة دولة يهودية في فلسطين • وهذه الديانة القائمة على مبدأ الاستعمار واغتصاب حقوق الغير بالقتل والابادة لم يكتب لها البقاء لانها لم تستند الى مقومات ثقافية وتراث اصيل، لذلك فسرعان ما قضي عليها بعد ان ظلت تتعثر في وجه الاضطهاد ومقاومة أهل البلاد حتى قضي عليها على يد الرومان في عام ٧٠ ب•م• وسوف تلقي

صهيونية هذا الزمان نفس المصير حتما ، عاجلا او آجلا ، تحقيقنا للمبدأ القائل : « ان التاريخ يعيد نفسه » .

هل كان اليهود اول من دعا الى عقيدة التوحيد ؟

٦٢ ـ ان ادعاء اليهود أنهم اول من قال بعقيدة التوحيد وهم الذين قدموها للعالم وللبشرية ، وان الفضل يرجع اليهم في وضع اسس الديانة التي يدين بها اليهود والمسيحيون والمسلمون ، وهو الادعاء الذي يؤيدهم به كثير من الكتاب ، انما هو محض ادعاء لا يستند الى اي اساس او واقع تاريخي . لان عقيدة التوحيد لم يناد بها اول مرة غير انبياء ساميين عرب ، وفي مقدمتهم « ابراهيم الخليل » الذي ظهر قبل عهد اليهود بألف واربعمائة عام وان فكرة الاله العلي الواحد مالك السموات والارض، كانت معروفة عند«الكنعانيين» بشكل من الاشكال ، وكان « المديانيون العرب » يمارسون عقيدة التوحيد أيضا . ويؤكد بعضهم ان اسم « يهوه » إله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين في جزيرة العرب .وكان الكاهن الكنعاني « ملكي صادق » ملك اورشليم يدين بالاله الواحد إله السموات والارض وهو الذي بارك ابراهيم الخليل (ع) وكان ذلك قبل ظهور موسى النبي بحوالي سبعة قرون. . وعقيدة التوحيد التي تبناها « اخناتون » قبيل عهد موسى قد جاءت الى مصر على الارجح عن طريق قبائل الهكسوس السامية التي حكمت مصر زهاء قرنين من الزمن ، وذلك قبل عهد « اخناتون » مباشرة . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان موسى اخذ هذه العبادة في عهد « اخناتون » ، وان موسى نفسه كان مصريا من اتباع هذه الديانة الجديدة وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

دور اليهود السياسى فى فلسطين

٦٣ ـ لما دخل الموسويون ارض فلسطين في القرن الثالث عشر

قبل الميلاد كان يسكنها أقوام من اصل عربي سام ، هم الكنعانيون والعموريون والعمالقة،وكانت لهذه الاقوام ثقافتهم وتقاليدهم وحكمهم الملكي ترجع الى اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد ، فلم يستطع الموسويون طردهم ، فسكنوا بينهم ، وشاركوهم في وطنهم ، ولكنهم لم يلبثوا طويلا حتى ازيلوا من الوجود سبيا وقتلا وطردا ، وبقي سكان البلاد في ارضهم .

٦٤ ــ تؤكد التوراة مرارا وتكرارا ان سكان كنعان الاصليين بقوا في ارضهم بعد دخول الموسويين ارض كنعان ، وقد اصبحوا من القوة والكثرة بحيث تمكنوا من السيطرة على الحكم واخضـــاع الموسويين لحكمهم في فترات متواصلة قبيل عهد القضاة وفي خلاله.

٦٥ ــ لم يستطع الموسويون واليهود ان يسيطروا على جميـــع بلاد كنعان في أي دور من ادوارهم اذ بقيت المدن الساحلية الشمالية على طول ساحل البحر المتوسط في يد الكنعانيين سكانها الاصليين ، كما ان هناك اقواما ، واهمهم الفلسطينيون والادوميون والعمونيون لم يذعنوا لليهود الا في فترات قصيرة .

٦٦ ــ ان دور الموسويين السياسي في فلسطين لم يتجاوز ثمانين عاما ، وذلك مقابل الفي سنة من استمرار سكنى اهل فلسطين الاصليين وحكمهم قبل ظهور الموسويين على مسرح الاحداث ، وحوالي الفي سنة اخرى بعد القضاء على اليهود في فلسطين ، اذ ليس في التاريخ ما يشير الى انه كان لليهود كيان سياسي في غير الفترة الوقتية لمملكتي داود وسليمان التي تمتد من سنة ١٠٠٤ الى سنة ٩٢٥ ق.م ، وحتى هذه الفترة القصيرة كانت خاضعة للحماية المصرية .

٦٧ ــ لم يستطع اليهود في اي دور من ادوار التاريخ ان ينشئوا دولة مدنية زمنية ، فكانوا منذ ظهورهم حتى يومنا هذا يؤلفون جماعة يرتكز كيانها على الدين وحده ، فكان حكامهم كهانا وكان ملوكهم خاضعين للسلطة الدينية التي يمليها الكهنة . فلمـــا نشب نزاع بين

الجماهير اليهودية في أواخر عهـــد « المكابيين » حول نوع الحكم الذي ترغب هذه الجماهير فيه ، كانت الجموع تطالب بانشاء حكومة دينية من غير ملوك . وقد لجأت الفرق اليهودية الى القائد الروماني « پومپي » تطالبه بأن يلغي الملكية ويعين لهم كهانا لا ملوكا،فاستجاب الى طلبهم . وكان الجليليون الذين ظهروا بين الفرق اليهوديـة قبل الميلاد ، وهم من اتباع يهوذا الجليلي ، يقولون : « لا ملك لليهود غير الله »

٦٨ ــ لم يؤلف اليهود في اي دور من ادوارهم اكثرية في فلسطين لان السكان الاصليين غير اليهود كانوا يتكاثرون ويستقرون في ارضهم، في حين ان اليهود كانوا يتقلصون لتعرضهم للاضطهاد والقتل والسبي من دون الاقوام الاخرى فى البلاد ، حتى أجلي آخر من تبقى منهم في السبي البابلي الثاني سنة ٥٨٣ق.م،واستأثر الادوميون والنبطوسكان فلسطين الاصليون ، وكلهم عرب ، بالبلاد . ثم بعد رجوع بعض اليهود من بابل الى فلسطين في زمن الفرس قضى عليهم الرومان نهائيا سـنة ١٣٥ ب . م. وبقي سكانها الاصليون حتى الفتح الاسلامي حيث بقيت فلسطين في يد المسلمين ١٣ قرنا ونصف قرن .

٦٩ ــ وان اخفاق اليهود في انشاء مملكة زمنية دائمة فى فلسطين يرجع الى عوامل كثيرة ، من اهمها في نظرنا عاملان : اولهما ان الكيان اليهودي لم يقم على اساس قومي راسخ اصيل بثقافته ولغته وتقاليده، فاليهود كانوا وما زالوا غرباء طارئين على فلسطين ، وكيانهم قائم على الدين وحده ، والدين عرضة للتغير والتبدل ، خلافا لما عليه القومية من ثبات لاستنادها الى لغة واحدة ووطن واحد . اما العامل الثاني فهو ان اسرائيل كانت قائمة على الاغتصاب والاعتداء على شعب آمن له قوميته وثقافته وتقاليده وحكمه عاش في ارض فلسطين عشرين قرنا من الزمن ، وقد جاء اليهود عازمين على طرد هذا الشعب من دياره وحل انفسهم محله ، زاعمين ان الله أمرهم ان يبيدوا هــذا الشعب ويحلوا

محله ، وان الله وعدهم بمنحهم هذه الارض وانه سيحارب بنفسه من اجل تحقيق ذلك لهم • وهذا الشعب المعتدى عليه لا يمكن ان ينسى مهما طال الزمن ان هذه الارض هي ارض اجداده وقد اغتصبت منه• هذا عدا تجاهل التوراة لمبدأ الاخوة والمساواة بين ابناء البشــــر واحتضانها لمبدأ تفوق اليهود العنصري بكونهم شعب الله المختار فكان لهذا اثره الى حد ما فى بعث الانعزالية بينهم وبين مواطنيهم من السكان الذين يعايشونهم •

اليهوديـة والصهيونيـة

٧٠ ــ ان اليهودية لم تكن مقتصرة على فلسطين ، فقد انتشــــر الدين اليهودي بين مختلف الامم والاجناس ، وهذه الامم دخلت فى الدين اليهودي ، وهي تعيش في ديارها واوطانها ، تتكلم بلغاتهــــا ، وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها • فاليهود الذين يقدر عددهم بزهاء اثني عشر مليون نسمة لا يتعدى كونهم طائفة دينيـــة اجتماعية تضم شتى الاجناس واللغات والدماء يسكنون فى اوطـــان متباعدة ، فمنهم يهود الخزر واليهود الالمان واليهود السلاف واليهود الاســـبان والبربر ويهود الحبشة واليهود الصينيون واليهود الزنوج والهنود وغيرهم ، وكل هؤلاء لا يمتون الى الجنس اليهودي القديم بأية صلة ، وهم متباعدون فى الوطن وفي اللغة وفي الثقافة وفي الجنس ، وحتى اليهود العرب الذين كانوا يسكنون المدينة وبعض اصقـــاع الحجاز لم يكونوا من اصل يهودي على تحقيق بعض المؤرخين بل كانوا عربا لا يميز بينهم وبين مجاوريهم العرب اي شيء غير الدين •

٧١ ــ ان ادعاءات الصهيونيين ان اليهود المعاصرين هم انســال بني اسرائيل القدماء ، محاولين بذلك الربط بين حركتهم السياسية وتاريخ اليهود الديني القديم في فلسطين لتسويغ ما يهدفون اليــه من اقامة دولة وكيان قومي لهم في فلسطين ، هي ادعاءات باطلة زائفــة ، لا تستند الى اساس علمي او واقع تاريخي ، ولا يقرها المنطق ، لان

اليهود المعاصرين هم أبعد ما يكونون من بني اســـرائيل الذين ورد ذكرهم في الكتب المقدسة • وتدل الاحصاءات على ان اليهود الذين في اسرائيل اليوم جاؤا من مائة بلد وبلدين لا يحسون برابطة تربط بعضهم ببعض •

٧٢ ــ ان اليهوديــة عقيـــــدة دينية شـــاملة على عكس الصهيونية التي تمثل حركة قومية عنصرية متطرفة واتجاها سياسيـا واقتصاديا وتستغل العاطفة الدينية لتحقيق اغراضها بمحاولة صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات والاجناس في وطن قومي واحد ،وهو فلسطين واسكانهم فيها بعد طرد سكانها العرب بالقوة •

٧٣ ــ ومن الواضح ان الحركة الصهيونية غدت تمثل مخططــا استعماريا صرفا ذا صبغة سياسية ، قائما على ادعاء باطل وعلى الخداع والتضليل ، وقد اخذ زعماؤها يتاجرون بها على مســـــرح الدول الاستعمارية الكبرى على حساب سكان فلسطين العرب •

٧٤ ــ ويحاول الصهيونيون اليوم ربط الصهيونية بالديانـــة اليهودية ، ولما كانت القومية هي قوة هذا العصر فقد درج الصهيونيون على محاولة خلق قومية من الديانة اليهودية وفرضها على يهود العـــالم ليستمدوا منها قوتهم وهم يسعون أن يبعثوا من نغمة اضطهاد اليهود قومية يهودية وذلك بربط يهود العالم بالمصير الواحد والولاء الواحد لاسرائيل • فأقوال الزعماء الصهيونيين كلها تؤكد وتصـر على ان الصهيونية واليهودية لا يمكن الفصل بينهما ، وان اليهودية قومية وكل من انتسب الى هذا الدين هو صهيوني بغض النظر عن البلدالذي ينتمي اليه واللغة التي يتكلمها او الجنسية التي يحملها •

٧٥ ــ وعلى الرغم من اطلاق الصهيونيين لهـــذه المفاهيم التي وضعوها للديانة اليهودية بغية استغلالها في تدعيم حركتهم السياسية، فهناك عدد غير قليل من اليهود في العالم لا يؤمن بالصهيونية وهؤلاء يقاومونها بشدة • لذلك تعتبرهم الصهيونية اشد خطرا عليها من أية

جهة اخرى من غير اليهود فهي تخشاهم وتحسب لهم الف حساب . فقد كان لما وضعه هؤلاء اليهود من مقالات ومؤلفات فى مناهضةالصهيونية اكبر الاثر في تحويل وجهة نظر عدد كبير من الغربيين الى عدالة القضية العربية الفلسطينية ، اذ صاروا لاول مرة يسمعون من قلب العالم اليهودي صوت الجانب العربي في الدفاع عن حقوقهم المغتصبة بعد ان ظلوا لا يقرأون ولا يسمعون غير الدعايات الصهيونية المنتشرة في جميع انحاء العالم .

٧٦ ـ وقد كان لهذه الجمهرة من الكتب والمقالات باللغات الاجنبية أثره المحسوس في تنبيه الرأي العالمي الى الاعمال الاجرامية التي ارتكبتها الصهيونية ولا تزال ترتكبها بحق العرب حتى اصبحت الصهيونية فى نظر عدد من كبار المفكرين علما للدلالة على الاعتداء والاغتصاب بل رمزا للعبث بحقوق الانسان . لذلك فانه من الخطأ ان يؤيد بعض الكتاب العرب نظرية الصهيونيين التي تزعم ان اليهودية والصهيونية شيء واحد والواحدة مرتبطة بالاخرى لانهم يكونوا قد خدموا بهذا التأييد الدعاية الصهيونية من حيث لا يشعرون ، وذلك في وقت اصبح العرب أكثر من اي وقت مضى باشد الحاجة الى اصوات هؤلاء الكتاب الذين يناهضون الصهيونية ويحملون عليها .

٧٧ ـ ومن المهم ان نشير هنا الى نصيحة المؤرخ الشهير «ارنولد توينبي» ذلك العالم الجليل الذي كانت له من الجرأة الفكرية للاعراب عن رأيه في شجب اعمال الصهيونية وخططها الاجرامية بحق العرب . فهو يعلق اهمية كبرى على نفوذ اليهود غير الصهيونيين ، فحين سئل عن رأيه في العلاج العملي لمشكلة فلسطين ذكر ثلاث حركات قد تكون الى حد ما ذات فائدة اثنتان منها تتصل بزيادة نفوذ اليهود غير الصهيونيين.

٧٨ ـ نعم ، ان الديانة اليهودية التي حاكها الكهنة اليهود فى بابل تشتمل على نفس المبادىء التي تعتمد عليها الصهيونية في الوقت الحاضر ، اي على مبدأ واحد وهو احتلال ارض فلسطين وقتل اهلها

وتشريدهم ، ولكن مجرد مناهضة الكتاب اليهود للصهيونية والمبادىء التي تقوم عليها معناه ضمنا عدم الاعتراف بهذه التعاليم التي ابتدعها الكتبة اليهود في الاسر ومن ضمنها عقيدة الارض الموعودة •وهذايسير مع نفس الاتجاه العربي في العقيدة الاسلامية التي لا تعترف بغـــير التوراة التي انزلها الله على موسى ، وان هذه الحركة الصهيونية التي تأمر بقتل الابرياء من الاطفال والنساء والشيوخ وتستند على وعـد مزيف هي ليست من شريعة موسى بشيء ، لذلك فقد باءت بالفشل الذريع اذ اخمدها الرومان في مهدها وازالها من الوجود كمـا ازيلت بعدها الصليبية وستلقى الحركة الصهيونية الحالية نفس المصير حتما وذلك عاجلا أو اجلا ، لان النظام الذي يعتمد على القوة والارهاب وحدهما لن يدوم ولن يبقى فمصيره الزوال •

هل فلسطين سلعة لا اهل لها حتى تباع بالوعود ؟

٧٩ ــ ان ما اورده مدونو التوراة من ان هناك وعدا نسبوه الى ربهم « يهوه » بمنح بلاد كنعان لابراهيم ولنسله من بعده ، ومـــا اوردوه ايضا من ان هناك امرا من الاله العلي يقضي بابادة ســـكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ او طفل واحراق مدنهم وما فيها بالنار ، واحلال اليهود محلهم ، فهي مسألة فيها نظر : فانعزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة الى الله هو من غير شك افتراء محض ، لانه لا يمكن ان تعترف اية ديانة سماوية بابادةبني الانسان وقتل النفس البريئة ، وانه افتراء على النبيين الجليلين ابراهيم الخليل وموسى ان تنسب اليهما الرغبة فى ابادة الاقوام وقتل الابرياء، والمعلوم ان ابراهيم الخليل سكن مع الكنعانيين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق • ثم كيف يكون التوفيق بين هذا الكلام وبين ما ورد في وصايا موسى العشر بقولها : « لا تقتل » ؟ فهذا كله دليل قاطع على ان الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة مختلق من حيث الاساس ، اذ كيف يمكن ان يحمل كلام كهذا طابعا قدسيا ؟•

٨٠ ــ ومن الواضح ان وعد بلفور ان هو الا نسخة طبق الاصل للوعد التوراتي المزيف فكلا الوعدين يهدفان الى تحقيق عملية واحدة من حيث الاعداد والتصميم وهي : طرد ســـكان فلسطين العرب من مساكنهم بالقوة ، واحلال اليهود محلهم . وهذا التجاوز على حقوق أهل فلسطين لا يمكن ان يدوم ، لانه عمل عدائي صريح مخالف للعدل والانسانية . وكما ازيل اثره فى الماضي ، كذلك سيزال عاجلا او آجلا. والحق لا يموت اذا كان له مطالب سخي في التضحية .

« ان وعد بلفور اعتداء على مبدأ الحق والعــدل ، اعتداء على الانسانية ، يقاتل انبل المطالب » : بهذه الكلمات وبالحرف الواحدعبرت عن عقيدتي في وعد بلفور وانا في عنفوان الشباب ، وذلك في مقــال مطول بعنوان « فلسطين بين الصهيونيين والعرب » كان قد نشر فى جريدة الاحرار البيروتية في عددها الصادر في ٢٨ اب ١٩٣٠ ، واعود الان بعد ان طويت اربعين سنة من عمري فى التتبع والتحقيق فاردد هذه الكلمات ذاتها معززة بالاثباتات العلمية في هذا البحث ، وارجو ان اكون قد اديت بذلك واجبا وطنيا وعلميا بهذه المساهمة المتواضعة فياظهار الحقائق التاريخية المتعلقة بحضارة الامة العربية وبتراثها المجيد وبحق العرب في ارض فلسطين .

احمـــد سوســـه

فصول كتـــــاب
العرب واليهود فى التاريخ

مؤلفات الدكتور احمد سوسه

المطبوعات العربية :

١ ــ ري اراضي الخرج في نجد : تقرير فني حول مشاريـع الري فى نجد نشر في مكة المكرمة سنة ١٩٣٩ .

٢ ــ الري في العراق : طبع في مطبعة التفيض الاهلية ببغداد سنة ١٩٤٣ (نفد) .

٣ ــ المصادر عن ري العراق : كتاب جمع فيه المؤلف المصادر التي تبحث في شؤون الري في العراق ، ولخص محتوياتها ، وعلق عليها ، طبع فى مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٢ (نفد) .

٤ ــ وادي الفرات ومشروع الحبانية : الجزء الاول ، ومعه ١٨ خارطة و ١٥ تصويرا ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٤ (نفد) .

٥ ــ وادي الفرات ومشروع سدة الهندية : الجزء الثاني ، ومعه ٢٢ خارطة و ٢٦ تصويرا . طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٥ (نفد) .

٦ ــ في ري العراق : الجزء الاول ، ومعه اطلس يضم ١٦ لوحة وخارطة ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٥ .

٧ ــ تطور الري في العراق : ومعه ٢٨ لوحة بين تصوير وخارطة ، طبع في مطبعة المعارف فى بغداد سنة ١٩٤٩ .

٨ ــ مشروعات الري الكبرى ــ خزان هور الشويجة : طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .

٩ ــ مشروعات الري الكبرى ــ خزان بحيرة الشارع : طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .

١٠ ـ مأساة هندسية او النهر المجهول : يبحث هذا الكتاب في منشأ النهر الذي حفره المتوكل فى سامراء لايصال المياه الى المتوكلية وفي تطوره وتطور الامور الغامضة التي لابست هذا المشروع ولا سيما أسباب فشله ونتائج الفشل الخطيرة بالنسبة الى خطط انشاء العاصمة العباسية في سامراء ، طبع في مطبعة المعارف سنة ١٩٤٧ .

١١ ـ ري سامراء في عهد الخلافة العباسية : كتاب يبحث في تاريخ سامراء وفي كل ما يتعلق بمشاريع الري القديمة فى منطقة سامراء في عهد الخلافة العباسية ، طبع بجزئين الاول ومعه ٢٤ لوحة بين تصوير وخارطة والثاني ومعه ٣٤ لوحة بين تصوير وخارطة .طبع في مطبعة المعارف ببغداد في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩

١٢ ـ خارطة بغداد قديما وحديثا : وضع الدكتور احمد سوسه والدكتور مصطفى جواد والاستاذ احمد حامد الصراف (منشورات المجمع العلمي العراقي ١٩٥١) .

١٣ ـ اطلس بغداد : (تاريخي وجغرافي طبع في مطابع مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٥٢) .

١٤ ـ اطلس العراق الاداري : طبع فى مطابع مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٥٢ .

١٥ ـ اطلس العراق الحديث : طبع في مطابع المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٥٣ .

١٦ ـ دليل خارطة بغداد قديما وحديثا : تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، طبع في مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد سنة ١٩٥٨ .

١٧ ـ العراق في الخوارط القديمة : من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، طبع في مطبعة المساحة سنة ١٩٥٩ .

١٨ ـ الدليل الجغرافي العراقي : طبع في مطابع مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٦٠ .

١٩ ـ مأساة اللطيفية او صفحات من ذكريات الماضي : (رواية بـ ١٩٦ صفحة) مطبعة الاديب البغدادية سنة ١٩٦٣ .

٢٠ ـ فيضانات بغداد في التاريخ : بحث في تاريخ فيضانات انهر العراق وتأثيرها بالنسبة لمدينة بغداد والتدابير المتخذة للوقاية من خطر الغرق في مختلف عصور المدينة : في ثلاثة اجزاء مطبعة الاديب البغدادية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) .

٢١ ـ بغداد : كتاب مصور عن بغداد قديما وحديثا شارك المؤلف بصفته احد المساهمين في اعداده : طبع في مؤسسة رمزي للطباعة ١٩٦٩ ، نشرته نقابة المهندسين العراقية .

٢٢ ـ الري والحضارة في وادي الرافدين : الجزء الاول،مطبعة الاديب البغدادية سنة ١٩٦٩

٢٣ ـ العرب واليهود في التاريخ : معد للطبع .

مؤلفاته بالانكليزية :

1. *Handbook of Instructions for Discharge Observers in Iraq.* Compiled by the author and Mr. F. S. Blomfield. Printed at the Government Press, Baghdad 1932.
2. *The Capitulatory Regime of Turky - Its History, Origin and Nature* : 401 Pages. The Johns Hopkins Press, Baltimore U.S.A., 1933.
3. *Iraqi Irrigation Handbook,* Part I. Iraqi State Railway Press, Baghdad 1944 (with 16 Plates in Portfolio) .
4. *Irrigation in Iraq - Its History and Development:*

Facts and Prospects in Iraq English Edition. The Commercial Press, Jerusalem, 1945.

5. *The Hindiyah Barrage* : Its History, Design and Function (With 16 maps and 22 illustrations) : The Government Press, Baghdad, 1945.

6. *Atlas of Iraq* : Surveys Press, 1953.

7. *An Illustrated Handbook of Iraq or Iraq in Maps* : Surveys Press, Baghdad, 1962.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٥٧ لسنة ١٩٧١

انتهى الطبـــع بتاريخ ١٩٧١/٥/٢٠

طبع بمطبعة الزمان ـ بغــداد

Introduction

to a Treatise entitled :

" ARABS AND JEWS IN HISTORY "

Historical Facts Revealed by Archaeology

By

Ahmed Sousa , Ph. D., B. Sc. Eng.



طبع بمطبعة الزمان ـ بغـداد